أثر حروف المعاني

على فهم النص القرآني

(كاف التشبيه نموذجاً)

د/ محمود أحمد دردير سليمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن

ملخص البحث

أثر حروف المعاني على فهم النص القرآني (كاف التشبيه نموذجاً)

محمود أحمد دردير سليمان.

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، جامعة الأزهر، أسيوط.

البريد الإلكتروني: Mahmoudsouliman.48@azhar.edu.eg

الملخص:

المقدمة: حظيت حروف المعاني باهتمام المفسرين مما نتج عنه اختلافهم في فهم بعضها، ومن ثم اختلافهم في فهم النص القرآني، فجاءت هذه الدراسة لتكشف عن أثرها البالغ فى توضيح المعاني الدقيقة والارتباطات الدلالية للآيات القرآنية.

الهدف: جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على (كاف التشبيه) ودورها في توجيه المعنى، من خلال الوقوف على بعض التشبيهات القرآنية بأنماطها المختلفة، مع بيان أثر التشبيه، والغرض منه، ومعرفة نوعه، وتحليل أطرافه في النص القرآني.

وقد تكون البحث من مقدمة ، وتمهيد، يضم تعريف الحرف، وسبب تسميته، وأقسام حروف المعاني، وعملها، وأهميتها ، والفرق بينها وبين حروف المباني، ثم جاء المبحث الأول : والذى يتضمن تعريف التشبيه وأركانه وخصائص تشبيهات القرآن وأثرها في التفسير، وكاف التشبيه ، وعملها، والفرق بينها وبين كاف الخطاب، و المبحث الثاني: بعنوان أنماط (كاف التشبيه) في النص القرآني ، وقد اشتمل على الكاف الداخلة على (اسم الإشارة) و (ما المصدرية) و (المصدر الصريح) و(الِاسْم الْمَوْصُول) و (اسم

الفاعل) و (أن)، وخاتمةٍ: فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي للشواهد القرآنية، والمنهج التحليلي الذي يقف أمام هدايات النص القرآني.

النتائج: أظهرت أن حروف المعانى من أهم الأدوات التي يحتاجها المفسر؛ ومن بينها حرف (الكاف) ودلالة الكاف على التشبيه هو أصل معانيها، بل يعد هذا الحرف من أكثر أدوات التشبيه استخدامًا، وله بالغ الأثر في المعنى والدلالة.

التوصيات: الإهتمام بدراسة حروف المعاني وفهم دلالاتها على وجه العموم، وتشبيهات القرآن على وجه الخصوص، باعتبارها وسيلة مهمة لاستخراج مكنونات المعاني القرآنية

الكلمات المفتاحية: أثر، حروف المعاني، كاف التشبيه.

similes of the Qur'an and their effect on interpretation, the Kaf of simile, its work, and the difference between it and the Kaf of address, and the second section: entitled the patterns of (the Kaf of simile) in the Qur'anic text, and it included the Kaf that enters (the demonstrative pronoun) and (the source ma) and (the explicit source) and (the relative pronoun) and (the active participle) and (that), and a conclusion: in which are the most important results that this research has reached, the most important sources and references, and the index of topics.

Methodology: In this research, I followed the inductive method of the Qur'anic evidence, and the analytical method that stands before the guidance of the Qur'anic text.

Results: It showed that the letters of meanings are among the most important tools that the interpreter needs; Among them is the letter (Kaf) and the significance of the letter Kaf for simile is the origin of its meanings, in fact this letter is one of the most used tools of simile, and it has a great impact on the meaning and significance.

Recommendations: Paying attention to studying the letters of meanings and understanding their meanings in general, and the similes of the Qur'an in particular, as it is an important means of extracting the hidden meanings of the Qur'an.

Keywords: Impact, letters of meanings, Kaf Al-Tashbih.

Abstract of the research

The impact of the letters of meaning on understanding the (Quranic text Kaf Al-Tashbih as a modelp)

Mahmoud Ahmed Dardir Suleiman.

Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Assiut, Al-Azhar University, Assiut.

Email: Mahmoudsouliman.48@azhar.edu.eg

Abstract:

Introduction: The letters of meaning have received the attention of interpreters, which resulted in their differences in understanding some of them, and then their differences in understanding the Quranic text. This study came to reveal their great impact in clarifying the precise meanings and semantic connections of the Quranic verses.

Objective: This study came to shed light on (Kaf Al-Tashbih) and its role in directing the meaning, by examining some Quranic similes in their different patterns, with a statement of the effect of the simile, its purpose, knowing its type, and analyzing its parties in the Quranic text.

The research may consist of an introduction and a preface, including the definition of the letter, the reason for naming it, the sections of the letters of meanings, their work, their importance, and the difference between them and the letters of structures. Then came the first section: which includes the definition of simile and its pillars and the characteristics of the

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛؛؛

فلما كان القرآن الكريم منبع النظر، ومنهل الفكر، منه يستقي الباحثون العبر، وتستشرف النفوس من ينبوعه الحكم، وقف على ضفافه الواردون، كل قد علم مراده، فأخذ منه بحظ وافر.

ولا يخفى على أحد منا أهمية اللغة العربية في فهم مراد الله في كتابه الكريم، فهي المرآة الصافية للقرآن الكريم، والتى لها قدرة التصوير وروعة التعبير، ولهذا حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين واللغويين .

وفي رحاب تفسير القرآن الكريم والبحث في إعجازه، رأينا اهتمام المفسرين بأساليب القرآن الكريم ، ولعل من أبرزها وأهمها، باب حروف المعاني، ولما كانت حروف المعانى ذات شأن يلتفت إليها ويعني بها، لما لها من أثر كبير في توجيه المعاني ، ودورها في التوجيه الدلالي، إلى جانب ما تحمله من أسرار بيانية وبلاغية، كان لها أكبر الأثر في إثراء العلوم الشرعية، وإبراز العلاقة الوطيدة ما بين العلوم الشرعية والعربية.

فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على بعض من تلك الحروف وبيان أثرها في توجيه المعنى، لعله يسهم في دفع عجلة الدراسات القرآنية، ويكون لبنة متواضعة لدراسات قادمة في صرح شامخ في الدراسات التفسيرية، خدمة لكتاب رب البرية.

وفي محاولة مني؛ لإبراز جانب من مظاهر فهم النظم القرآني ، وما يتصل منه بحروف المعاني، تم اختيار(كاف التشبيه) والتى تبرز بروعتها وتسهم في إثراء خيال القارئ، كنموذج لذلك .

أسباب اختياري لهذا البحث:

دفعني للكتابة في هذا البحث – بعد إرادة الله –عز وجل–، وتوفيقه، وهدايته لي– عدة أمور:

أولا: أن هذا الموضوع يتصل مباشرة بالقرآن الكريم وتفسيره وتدبره، حيث نستنبط جوانب الإعجاز فيه من خلال كاف التشبيه ودورها في إظهارالمعنى، وتجليته، وتحليته بالصورة الجمالية.

ثانيا: رغبتي في إبراز العلاقة بين الجانب التركيبي والدلالي،على قدر استطاعتي وجُهدي المتواضع، من خلال استجلاء بلاغة القرآن الكريم، والوقوف على بعض التشبيهات القرآنية.

ثالثا: إبراز ماهية حروف المعاني ودورها في تأدية المعنى، من خلال بعض آيات القرآن الكريم التي تتضمن هذه الحروف، لكي يتضح لنا دورها في فهم النص القرآني.

رابعا: الحاجة الماسة الى المزيد من الدراسات القرآنية، لبيان الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم من خلال توظيف حرف دون آخر.

خامسا: دراسة التشبيه تساعد في فهم وتوضيح المعنى، وتقريبه إلى ذهن المتلقي، حيث يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا .

منهجي في هذا البحث سرت بعون الله في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي [1] لكاف التشبيه وأنماطها المختلفة في القرآن الكريم، للوقوف على فهم الآية فهماً جيداً ؛ على آراء المعربين والمفسرين فيها، وذلك وفق منهج التفسير التحليلي الذي يقف أمام هدايات النص القرآني الوارد فيه كاف التشبيه، معتمداً على أقوال المفسرين في معنى الآيات الكريمة في هذا الشأن، وما ترمي إليه من أهداف، واستنباطات.

وكانت دراستي فيه على المنهج الآتي:

أولاً : قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وبيان رقمها .

ثانياً : قمت بتخريج الأحاديث النبوية مع تخريجها من مصادرها الأصلية، فاذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت في الحكم بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن في الصحيحين ذكرت حكم أحد العلماء عليه من الأئمة وأهل الحديث.

ثالثا: قمت بذكر أنماط (كاف التشبيه) في النص القرآني ، مكتفيا بذكر آية واحدة من القرآن لكل نمط من هذه الأنماط ، واصفا التشبيه ومحللا أطرافه المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه، والغرض منه، ومعرفة نوعه.

(١) المنهج الوصفي: يقوم على تحليل ووصف ما تحصل عليه الباحث من معلومات مما يساعد على بيان خصائص المفردة القرآنية،وسر تفردها، والقيمة الجمالية للأسلوب. ينظر كتابة البحث العلمى صياغة جديدة- عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان ص٣٣- ط السادسة- ١٤١٦هـ/١٩٩٦م – دار الشروق.

رابعا: قمت بدراسة الآيات دراسة تفسيرية بذكر أقوال المفسرين فيها، وموضحا أثر التشبيه في تفسير الآية، وما أضفى عليها من مبنى جميل، وسبك حكيم، ومعان رائعة، وما قد يفيد من تأسيس أو ترجيح قول على قول، أو توكيد ونحو ذلك.

خامسا: قمت بترجمة بعض الأعلام المذكورين في البحث، وتركت ترجمة المشهورين حتى لا يطول البحث .

سادسا: قمت بشرح بعض الكلمات الغريبة الواردة في ثنايا البحث ،مع الضبط لما يصعب قراءته من الكلمات.

سابعا: أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، وأهم التوصيات .

ثامنا: قمت بعمل فهارس متعددة ذيلت بها البحث تخدم القارئ في بلوغ مقصوده من البحث.

خطة البحث :اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة و مبحثين يسبقهما تمهيد. ثم خاتمة.

أما المقدمة :فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث،ومنهجي فيه، وخطة البحث .

وأما التمهيد، فيشتمل على:

(١) تعريف الحرف ، وسبب تسميته.

(٢) أقسام حروف المعاني، وعملها، وأهميتها ، والفرق بينها وبين حروف المباني.

المبحث الأول: بين يدى كاف التشبيه:

(ويشتمل على مطلبين) :

المطلب الأول: تعريف التشبيه، وأركانه، وخصائص تشبيهات القرآن وأثرها في التفسير.

المطلب الثاني: كاف التشبيه ، وعملها. والفرق بينها وبين كاف الخطاب.

المبحث الثاني: أنماط (كاف التشبيه) في النص القرآني:

ويشتمل على ستة أنماط :

النمط الأول: الكاف الداخلة على (اسم الإشارة).

النمط الثاني: الكاف الداخلة على (ما المصدرية).

النمط الثالث: الكاف الداخلة على (المصدر الصريح).

النمط الرابع: الكاف الداخلة على (الِاسْم الْمَوْصُول).

النمط الخامس: الكاف الداخلة على (اسم الفاعل).

النمط السادس: الكاف الداخلة على (أن).

الخاتمة :وهى تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات .

التمهيد

أولاً: تعريف الحرف، وسبب تسميته

تعريف الحروف لغة:

الحروف جمع حرف، والحَرْفُ فِي الْأَصْلِ: الطَّرَفُ وَالْجَانِبُ، وَبِهِ سُمِّيَ الحَرْفُ مِنْ حُرُوف الهِجَاء[١]

والحرف كما عرفه الجرجانى : هو ما دل على معنى في غيره[٢]، أو هو "كل لفظ لا يظهر معناه كاملا إلا مع غيره " [٣]

سبب التسمية بذلك:

اختلف النحويون في علة تسميته حرفاً، فقيل: سمي بذلك، لأنه طرف في الكلام، وفضلة، فالحرف من كل شيء: طرفه وجانبه، ويقال: فلان على حرف من أمره: ناحية منه؛ إذا رأى شيئا لا يعجبه عدل عنه. وفي التنزيل العزيز :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ... الآية} [الحج: ١١] ، أي: يعبده في السراء لا في الضراء[٤] ومن هنا سميت حروف المعجم حروفا؛

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٦٩)
(٢) التعريفات للجرجاني ص ١١٤.
(٣) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، لعلى الجارم ومصطفى أمين، الناشر: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ٢٧/١.
(٤) ينظر: االصحاح للجوهري ١٣٤٢/٤.

وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه، كحرف الجبل ونحوه[١].

تعريف حروف المعاني اصطلاحا:

حرف المعنى : كلمة تدل على معنى في غيرها، وتربط بين أجزاء الكلام، فتربط الأسماء بالأفعال، والأسماء بالأسماء، وتتركب من حرف أو أكثر من حروف المباني.[٢].

والعلَّة في ذلك أنها يُحتاج إليها في أنفسها، فصارت هذه الحروف كالآلة، وصار القسمان الآخران اللذان هما الاسم، والفعل، كالعمل الذي هو الغرض في إعداد الآلَة، وأعمالها[٣].

سبب التسمية بذلك:

أما علة تسميتها بحروف المعاني فلأنها تدل على معان في غيرها، وتربط بين أجزاء الكلام، ، أو لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء، بخلاف حروف المباني: التى هي حروف الهجاء، ومنها تتركب الكلمات، فإنها سميت بذلك، لأنه يتركب منها هياكل ومباني الكلمات[٤].

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني ٢٨/١.
(٢) ينظر: المعجم الوسيط لمجموعة مؤلفين ١/ ١٦٧، تاج العروس٢٣/ ١٢٨.
(٣) المخصص ٢٢٥/٤.
(٤) ينظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري: ١٠٩/٢ المعجم الوسيط ١٦٧/١ ، (مادة حرف). ينظر: تاج العروس٢٣/ ١٢٨.

أقسام حروف المعاني، وعملها، وأهميتها ، والفرق بينها وبين حروف المباني.

أقسام حروف المعاني:

وحروف المعاني من حيث عدد الحروف تنقسم إلى خمسة أقسام : الحروف الأحادية، و الثنائية، و الثلاثية، و الرباعية، و الخماسية.

فأما الحُروفُ الأُحادِيَّةُ: وهي التي وردت على حرف واحد فقط. وهذه الحروف اثنا عشر حرفا: الهمزة، والباء، والتاء، والسين، والفاء، والكاف، واللام، والنون، والهاء، والواو، والألف، والياء[1]، كقولك: باللّاه، وتاللّاه، ووالله، وواو العطف، وكاف التشبيه، ونحو ذلك.

وأما الحُروفِ االثُّنائيَّةِ: فهى ما بُني على حرفين من حروف المعاني فمثل إذْ، أَلْ، أَمْ، إنْ، أَنْ، أَوْ، آ، أَيْ، إيْ، بَلْ، عن، في، قد، كي[2].

وأما الحُروفِ الثلاثيَّةُ :فهي الحُروفُ التي يتكوَّنُ واحِدُها من ثلاثةِ أحرُفٍ من حُروفِ المباني، ك: إذَنْ، إذا، ألا، إلى، سَوف، [3].

أما الحُروفُ الرُّباعيَّةُ : فهي الحُروفُ التي يتكوَّنُ واحِدُها من أربعةِ حُروفٍ مِن حُروفِ المباني، وهي خمسةَ عَشَرَ حَرفًا على النَّحْوِ الآتي: إذْما، ألَّا، إلَّا، أمَّا، إمَّا، حتَّى، حاشا، كأنَّ، كَلَّا، لعلَّ، لكِنْ، لَمَّا، لوْلا، لَوْما، هَلَّا [4].

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص: ٣٠.

(٢) يُنظر: المرجع السابق ص: ١٨٥

(٣) يُنظر:المرجع السابق ص: ٣٥٩

(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (٨٩/١) .

وهناك الحُروفُ الخُماسِيَّةُ وهي حرفٌ واحِدٌ يتكَوَّنُ مِن خمسةِ حُروفِ مَبانٍ، وهو (لَكِنَّ) المشَدَّدةُ، وأصلُها (لكن أن) فطرحت الهمزة ونون لكن[1].

عملها :

حروف المعاني إماعاملة، وإما مهملة، فالعاملة هي حروف الجزم كـ (لم، ولما) والنصب كـ (لن، وحتى) والجر كـ(من، وإلى) ، والنواسخ، كـ (إنَّ، وأَنَّ،) وما سواها حروف مهملة، وكل حرف يحمل معنى، وهناك حروف تتعدد معانيها حسب السياق.

وحروف المعاني: (هي التي تفيد معنى كسين الاستقبال وغيرها، سميت بها للمعنى المخْتص بها، أو لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء، إذ لو لم يكن (من) و (إلى) في قولك: (خرجت من البصرة إلى الكوفة) لم يفهم ابْتِداء خروجك وانتهاؤه، أو لأن لها معاني كالباء في (بزيد) بخلاف الباء في (بكر)، فهي من حروف المباني التي تبنى منها الكمات)[2].

أهمية حروف المعاني :

لقد عني النحويون والمفسرون على حد سواء بحروف المعاني ، غير أن النحاة يكتفون في عنايتهم بها بسردها، وبيان نوعها، وعملها، وأثرها الإعرابي، أما المفسرون فيعنون بتوظيف هذه الحروف وبيان أثرها في المعنى والدلالة ، حيث إن المعنى الذي يدل عليه النص يختلف باختلاف الحرف ومدلوله الذي يتضمنه ، لذا يقول العلامة السيوطي مؤكدا على أهمية حروف المعاني: " اعلم أن معرفة ذلك – أي حروف المعاني – من المهمات

(١) الجنى الداني (ص: ٢٨).

(٢) الكليات لأبي البقاء الحنفي (ص: ٣٩٤– ٣٩٥)،

المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها[١]، ومن ثم يتضح لنا أهمية حروف المعاني في تفسير النصوص وتوجيه المعنى.

الفرق بين حروف المعاني وحروف المباني :

(١) حروف المباني هي حروف التهجي، ومنه تبنى الكلمة، فهي أبعاض الكلمة، أما حروف المعاني فهي من أنواع الكلم. [٢]

(٢) حروف المباني لا تزيد على حرف واحد، بينما حروف المعاني منها ما هو على حرف واحد كهمزة الاستفهام، ومنه ما هو على حرفين كـ (إن) الشرطية، ومنها ما هو على ثلاثة أحرف، كحرف الجر (إلى).

(٣) حروف المعاني يتبين معناها بغيرها، ولذلك يقال حرف جاء لمعنى، بينما حروف المباني ليست كذلك.

(٤) عدد حروف المباني ثمانية وعشرون حرفا، أما حروف المعاني فقد تزيد عن خمسين حرفاً[٣]

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٦٦)

(٢) ينظر: اللباب في قواعد اللغة لمحمد علي السَّراج١/١١٤.

(٣) ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية ، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ص٣٨٨

المبحث الأول:

بين يدى كاف التشبيه:

المطلب الأول :

تعريف التشبيه، وأركانه، وخصائص تشبيهات القرآن وأثرها في التفسير

التشبيه في اللغة:

الشبه، والشبه، والشبيه: المثل، والجمع: أشباه، قال الله عز وجل: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } [آل عمران: ٧] أي يشبه بعضها بعضا والمشبهات من الأمور المشكلات، وشبه فلان علي إذا خلط، واشتبه الأمر أي اختلط، ورأيتك مثله في الشبه، ولم أسمع فيه مشبهة من فلان، وتقول إني لفي شبهة منه(١).

أما في الإصطلاح

فهو إلحاق أمر بأمر في معنى مشترك بأداة، أو بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها؛ ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه(٢)، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه، وذلك قولك: زيد شديد كالأسد؛ فهذا القول

(١) يُنظر العين (٣/ ٤٠٤)، المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ١٩٣).
(٢) يُنظر: علم البيان للدكتور: عبد العزيز عتيق (ص: ٦٢)، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع (ص: ٧٥)

الصواب في العرف، وداخل في محمود المبالغة، وإن لم يكن زيد في شدته كالأسد على الحقيقة[١].

أركان التشبيه:

وأما أركان التشبيه فأربعة:

أولا:المشبه.

ثانيا: المشبه به، ويسميان (طرفي التشبيه)، وهما ركناه الأساسيان، وبدونهما لا يكون تشبيه.

ثالثا: أداة التشبيه، وهي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو مقدرة.

رابعا: وجه الشبه، وهو الصفة أو الصفات التي تجمع بين الطرفين[٢].

خصائص تشبيهات القرآن الكريم، وأثرها في التفسير:

مع أن تشبيهات القرآن ليست بدعا من التشبيه، إلا أن لها خصائص وميزات:

أولاً : أن تشبيهاته غير مقيدة ببيئة معينة، فلم تنحصر في عصر دون عصر، – وكذلك بعض تشبيهات العرب– ولم تقتصر على مكان دون مكان، إنما هي تشبيهات عامة تستمد من الطبيعة عناصرها، وتأخذ من الكون أجزاءها فليست لفئة خاصة ولا لقوم بأعيانهم[٣].

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ٢٣٩).
(٢) ينظر: علم البيان للدكتور عبد العزيز عتيق (ص: ٦٤)
(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها تأليف: د.فضل حسن عباس (ص: ٨٩).

فالقرآن الكريم يتخذ من الطبيعة وظواهرها مادة حية في تشبيهاته وتمثيلاته، انظر إليه يجد في السراب وهو ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعا، فيغرهم مرآها، ويمضون إلى السراب يظنونه ماء، فيسعون إليه، يريدون أن يطفئوا حرارة ظمئهم، ولكنهم لا يلبثون أن تملأ الخيبة قلوبهم، حينما يصلون إليه بعد جهد جهيد، فلا يجدون شيئا مما كانوا يؤمّلون، إنه يجد في هذا السراب صورة قوية توضح أعمال الكفرة، تظن مجدية نافعة، وما هى بشيء، فيقول: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا...الآية} [النور: ٣٩]

ويجد في الحجارة تنبو على الجسو ولا تلين، يجد فيها المثال الملموس لقسوة القلوب، وبعدها عن أن تلين لجلال الحق، وقوة منطق الصدق، فيقول: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...الآية} [البقرة: ٧٤] أو لا ترى أن القسوة عندما تخطر بالذهن، يخطر إلى جوارها الحجارة الجاسية القاسية"[1].

ثانيا: أن هذه التشبيهات جاءت متسقة مع الغرض الذي سيقت من أجله، فقد نجد الشيء الواحد شبه به أكثر من أمر، وذلك لأن هذا الشيء لوحظت فيه صفات متعددة، فروعي كل جانب ليتناسب ويتطابق مع المشبه الذي قصد القرآن الحديث عنه، وهكذا تجد التشبيه في كتاب الله ينسجم انسجاماً تاماً مع السياق الذي جاء من أجله، انظر إلى قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنّ... الآية} [البقرة: ١٨٧] ، ثم فكر لماذا أوثرت

(١) ينظر: من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ص: ١٥١-١٥٢)

كلمة اللباس هنا؟، وقل لي بربك هل تجد شيئاً أكثر ما تكون له النفس حاجة، وأشد ما يكون لها وقاية، أكثر من اللباس؟ ومع كونه كذلك، فهو ينشر في أجواء النفس البهجة والسرور، وهو بعد ذلك كله زينة وكمال. أعرفت سر اختيار الكلمة اذن؟(١).

ثالثا: ومن خصائص التشبيه القرآنى: المقدرة الفائقة في اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الموحية، تجد ذلك في تشبيه قرآنى، وحسبى أن أشير هنا إلى بعض أمثلة لهذا الاختيار.

نجد القرآن قد شبه بالجبال في موضعين، فقال: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...الآية} [هود: ٤٢]، وقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ...الآية } [الشورى: ٣٢]، ولكنك تراه قد آثر كلمة الجبال عند الموج، لما أنها توحى بالضخامة والجلال معا، أما عند وصف السفن فقد آثر كلمة الأعلام، جمع علم بمعنى جبل، وسر إيثارها هو أن الكلمة المشتركة بين عدة معان تتداعى هذه المعانى عند ذكر هذه الكلمة، ولما كان من معانى العلم الراية التى تستخدم للزينة والتجميل، كان ذكر الأعلام محضرا إلى النفس هذا المعنى، إلى جانب إحضارها صورة الجبال، وكان إثارة هذا الخاطر ملحوظا عند ذكر السفن الجارية فوق البحر، تزين سطحه، فكأنما أريد الإشارة إلى جلالها وجمالها معا، وفي كلمة الأعلام وفاء بتأدية هذا المعنى أدق وفاء.

وشبه القرآن الموج في موضعين، فقال: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...الآية } [هود: ٤٢] ، وقال: { وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...الآية } [لقمان: ٣٢] ، وسر هذا التنويع أن الهدف في

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها تأليف: د.فضل حسن عباس (ص: ٩١).

الآية الأولى: يرمى إلى تصوير الموج عاليا ضخما، مما تستطيع كلمة الجبال أن توحى به إلى النفس، أما الآية الثانية: فتصف قوما يذكرون الله عند الشدة، وينسونه لدى الرخاء، ويصف موقفا من مواقفهم كانوا فيه خائفين مرتاعين، يركبون سفينة تتقاذفها الأمواج، ألا ترى أن الموج يكون أشد إرهابا وأقوى تخويفا إذا هو ارتفع حتى ظلل الرءوس، هنالك يملأ الخوف القلوب، وتذهل الرهبة النفوس، وتبلغ القلوب الحناجر، وفي تلك اللحظة يدعون الله مخلصين له الدين، فلما كان المقام مقام رهبة وخوف، كان وصف الموج بأنه كالظلل أدق في تصوير هذا المقام وأصدق"[1].

رابعا: تشبيهات القرآن بعد ذلك كله بعيدة عن ترف الخيال، ورعونة العاطفة وسرف القول وفضوله.

خامسا: لما كان القرآن كتاب هداية للأحياء ما دامت الحياة، فإن تشبيهاته كلها تدور حول هذا الإنسان، تشبهه تارة وتشبه له تارة أخرى، تشبهه بما يناسب وضعه، وتشبه له بما يحيط به من هذا الكون مما لا غناء عنه في حياته ووجوده.

ومن الأمثلة البارزة على ذلك هو تشبيه القرآن للمنافقين بأحوال مختلفة، حيث يرسم لهم صوراً متعددة، طبقاً لأحوالهم، فالمنافقون كانوا يظهرون الايمان ، واظهارهم للإيمان كان يدفع عنهم الأذى، حيث كانت تجري عليهم احكام الإسلام، ولكن هذه الحالة لا يمكن أن تدوم.

وللمنافقين حالة ثانية: وهو ما كانوا يشعرون به من الحرج والضيق، وذلك حينما تنزل الآيات تفضح أمرهم، فادعاؤهم الإيمان لا يجديهم، وتظاهرهم به لا ينفعهم.

(١) ينظر: من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ص: ١٥٥)

وهناك حالة ثالثة: لا من حيث ادعاؤهم الإيمان، ولا من حيث الحرج الذي يجدونه، إنما روعيت فيها هيئاتهم الظاهرة التي تعجب الذين يرونهم.

وهناك حالة رابعة: وهي حالتهم عندما يجيئهم الخوف ويدعون إلى الجهاد، ونحن نعلم أن القرآن الكريم يشبه كل حالة من هذه بما يناسبها ويتلام معها.

ففي الحالة الأولى نقرأ قول الله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ } [البقرة: ١٧] ، فهو تشبيه لحال المنافقين وقد ادعوا الإسلام وتظاهروا بالإيمان، فظنوا في أنفسهم أن هذا الخداع لن تكون له نهاية، ولكن هيهات، فمثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فبددت الظلمات وأضاعت ما حوله، وبينما هو كذلك في فرحه ومرحه وسروره، وبهجته، وإذ بهذه النار تخمد وتنطفيء فلا يبقى منها شيء.

أما في حالتهم الثانية: وهي حالة الحرج والضيق فنقرأ قوله تعالى: { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} [البقرة: ١٩]

يشبه القرآن حالهم في هذ الضيق، وتلك القسوة، وذلكم الحرج، بقوم يسيرون والمطر الكثير الشديد ينزل من السماء، وقد أظلم الجو، ومع هذا المطر رعد قاصف، وبرق شديد اللمعان، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا اصوات الرعد، وهذا البرق الشديد يكاد يخطف أبصارهم، ولكن مع شدته يضيء لهم إذا مشوا فيه، فإذا ذهب وقفوا في أمكنتهم، فهم في شدة على كل حال، وكذلك كان المنافقون، فهم مع ادعائهم الإسلام كانوا يخشون دائماً أن تنزل آية تنبئ عن أحوالهم وتفضحهم، فهم مضطربون دائماً، لا يستقر لهم قرار يبين هذا قوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ

عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ } [التوبة: ٦٤]

أما حالتهم الثالثة: فقد شبههم القرآن بالخشب المسندة، فشأن الخشب أن يستفاد منه في البناء والسفن، وغير ذلك، أما عندما يكون مسنداً فستنخره السوس دون الاستفادة منه، فهم وإن أعجبك مظهرهم، لكن مخبرهم وحقيقتهم ليست شيئاً، وفي هذا نقرأ قول الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ...الآية} [المنافقون: ٤]

وأما حالتهم الرابعة: فقد شبههم القرآن بحالة الذي يغشى عليه من الموت. قال تعالى: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ...الآية } [الأحزاب: ١٩] (١).

سادسا: يستخدم القرآن الأسلوب التشبيهي والتمثيلي في الأغراض المهمة من البيان والتهذيب، والتربية والإصلاح، والمدح والدم، والترغيب والترهيب، والجدل والإفحام إلى آخر مقاصد الكتاب الحكيم.

فالقرآن الكريم قد يستعمل أسلوب التشبيه للترغيب أو الترهيب، وذلك ليقرر الأمر المرغب فيه، كي تقبل النفس عليه، ويبين المرهب منه كي تنفر النفس منه، استمع إليه وهو يرغب المؤمنين كي تلتئم وتلتحم صفوفهم في الجهاد { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ } [الصف: ٤] ولم يكتف بذكر كلمة (البنيان) فحسب، وإنما هو بنيان قد رص بعضه فوق بعض، فأحكمت لبناته والمشبه به – البنيان – من الأمور التي لا تغيب عن الانسان ألبتة.

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها تأليف: د.فضل حسن عباس (ص: ٩٤-٩٥).

وها هو القرآن يحذر من نقض العهد ويبين ما له من نتائج ضارة وآثار سيئة فيقول سبحانه: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا...الآية } [النحل: ٩٢] (١).

سابعا: إن الفائدة في التشبيه القرآني تعود دائما على المشبه؛ لأن المشبه به أقوى صلة بالصفة المشتركة بين الطرفين، وهذا هو الغالب فيه، "ومن غير الغالب أن يتساوى الطرفان في الصفة،أو يكون المشبه أقوى من المشبَّه به كقوله تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } [النور: ٣٥]" (٢)

أما بالنسبة لأبرز آثار التشبيه في النص القرآنى، فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- إبراز المعنى المراد في أجمل صورة لتكون أشد تأثيراً في النفوس، وأعظم وقعاً في القلوب، و بالتالي تكون أدعى للقبول.
- يبرز التشبيه الأمر المعقول في صورة المحسوس، ليقربه للأذهان ولتوضيح الحقائق المقصودة.
- يُعد التشبيه بالأمم السابقة وسيلة فعالة لأخذ العظة والعبرة، فالتهديد بالمعلوم أقوى من التهديد بالمجهول.

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها تأليف: د.فضل حسن عباس (ص: ٩٢).
(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية تأليف: د.عبد العظيم إبراهيم المطعني (٢/ ٢٨٠)

- يُعد التشبيه من الأساليب البيانية التي تُعزز المعنى وتثير المشاعر، وذلك من خلال استخدام الصور البلاغية البديعة التي تعتمد على حسن المنطق وجمال النظم، فتتسلل إلى القلوب وتسري في النفوس.
- التشبيه أبلغ في بيان الحجج وإقامتها، وأوضح في تثبيت الحقيقة التي يسعى القرآن إلى تقريرها في النفوس.
- لا يكاد يخلو تشبيه من صيغة مبالغة، أو توكيد ،وهذا يعزز المعنى ويقويه، كما أنه يعتمد على زيادة المبنى، وذلك لزيادة المعنى، ومن ثم التأثير والإقناع .

المطلب الثاني:
كاف التشبيه وعملها ، والفرق بينها وبين كاف الخطاب.

كاف التشبيه وعملها:

يُعد القرآن الكريم مصدرًا غنيًا بالأساليب البلاغية التي تضفى على النص القرآنى عمقًا وجمالًا ، ومن بين هذه الأساليب التى اهتم بها القرآن ، نجد كاف التشبيه والتي تعتبر من أكثر أدوات التشبيه استخدامًا ، والاسم الذي يأتي بعدها لا يكون إلا مجرورًا، غير أن النحاة اختلفوا في كونها حرف جر وما بعدها اسم مجرور بها، أم أنها اسم وما بعدها مضاف إليه، على اختلاف بين النحاة[1].

ودلالة الكاف على التشبيه هو أصل معانيها، ومع أن النحاة ذكروا

(١) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٧٨- ٧٩)

للكاف الجارة معاني أخر، إلا أنهم جعلوا في مقدمتها معنى التشبيه، فالتشبيه أشهر معاني الكاف[١]، وهو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنًى[٢]،مثل: الرجل كالأسد في قوته، فأداة التشبيه في هذه الجملة هي الكاف، التى تُستخدم لتوصيل المعاني بشكل جمالي وفني، وهذا دليل على أنه المعنى الأصلي الذي تفيده، فقد جرت العادة عند النحويين أن يذكروا المعنى الأول والأصلي الذي تعرف به أداة من الأدوات النحوية، ثم يذكروا بعدها المعاني الأخرى التي تخرج إليها.

ويزخر القرآن الكريم بآيات عديدة احتوت على كاف التشبيه غير أن بعض تلك المواضع حظيت باهتمام المفسرين والمعربين أكثر من بعض، لما رأوا أنها تحتمل معاني أخر غير التشبيه، كدلالتها على التعليل وذلك عندما يكون ما بعدها علة لما قبلها وسببا له[٣]، في نحو قوله تعالى : {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤] فالكاف هنا دلت على التشبيه في الرحمة أي: ارحمهما رحمة مثل رحمتهما لى، ودلت كذلك على التعليل بمعنى ارحمهما لأجل تربيتهما لي وأنا صغير[٤].

أو أنها تكون زائدة للتوكيد[٥] في نحو قوله تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } [الواقعة: ٢٢ – ٢٣] فالكاف للتشبيه ، والمثل حقيقة فيه، ووجه الجمع بين كلمتي التشبيه أنهما يفيدان التأكيد والزيادة في التشبيه[٦].

(١) المرجع السابق ص ٨٤.
(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٣/ ٣٨٤)
(٣) معجم الإعراب والإملاء، للمؤلف إميل بديع يعقوب، ص ٤٠٩
(٤) ينظر : اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٢٦٠)
(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/ ٢٦)
(٦) ينظر : تفسير الرازي (٢٩/ ٣٩٧)

كما ذكروا لها بعض المعاني كدلالتها على الاستعلاء، أى بمعنى على وهو نادر[١]، في نحو قوله تعالى: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال: ٥] أي امضي على ما أخرجك ربك من بيتك بالحق[٢]، فكما أن الله سبحانه وتعالى انتزع منكم قسمة الغنائم بعد اختلافكم في قسمتها وتنازعكم فيها، وجعلها إليه وإلى رسوله – صلى الله عليه وسلم، كذلك أَمَرَكَ ربك –أيها الرسول– بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحي أنزله عليك، مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك[٣].

من هنا ندرك أن كاف التشبيه تعمل على توضيح المعاني وجعلها أكثر فهمًا للقارئ، حيث تضفي على النصوص القرآنية عمقًا ورونقًا لا يُضاهى، يتعين على القارئ أن يتفاعل مع هذه التشبيهات لفهم المفاهيم الدينية، والأخلاقية بشكل أفضل، حيث يتم تجسيد هذه المفاهيم عبر صور بديعة تدفع إلى التأمل في النصوص والبحث عن الدلالات والمغزى العميق.

الفرق بين كاف التشبيه و كاف الخطاب:

لكل من كاف التشبيه وكاف الخطاب استخدام مختلف يتوقف على السياق الذي تأتي فيه، فكاف التشبيه تعمل، وكاف الخطاب غير عاملة[٤].

(١) معجم الإعراب والإملاء ص ٤١٠.
(٢)غرائب التنزيل وعجائب التأويل، لأبي القاسم الكرماني ص ٢٩٢
(٣) المختصر في تفسير القرآن ص ١٧٧.
(٤) الجنى الداني (ص: ٧٨).

كما أن كاف التشبيه تستخدم للتقارب بين الشيئين في الصفة، بمعنى أن الكاف في هذه الحالة تعمل على إظهار التشابه بين المشبه والمشبه به.

أما كاف الخطاب فيراعى فيها المخاطب فترد مفردة مفتوحة في الخطاب المذكر نحو ذلك ، وأما في الخطاب المؤنث فتكون بالكسر دائما نحو ذلك، وجمع المذكر نحو ذلكم ، وجمع المؤنث نحو تلكن والمثنى ذلكما، وتلحق بالفعل أو الاسم على النحو الآتى:

أ- ما يلحق اسم الإشارة تتصرف معه تصرف كاف الضمير كقوله تعالى {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...الآية} [الإسراء: ٣٩] جاءت الكاف في ذلك مفتوحة ، و حرف الكاف يدل على المذكر.

ب- ما يلحق ضمير النصب المنفصل إياك واخواته: نحو :قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥] إياك إيا هو الضمير والكاف حرف خطاب.

ج - ما يلحق الفعل أرأيت التي بمعنى أخبرني كقوله تعالى : {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٦٢] أرأيتك الكاف حرف خطاب[١].

(١)الجنى الداني في حروف المعاني ، ص ٩٢، علم أدوات القرآن ص ٨٦ ،٨٧.

المبحث الثاني :
أنماط (كاف التشبيه) في النص القرآني

سوف نعرض في هذا المبحث للدراسة الوصفية والتحليلية لكاف التشبيه في القرآن الكريم، ونقوم بالتحليل اللغوي لأنماطها المختلفة في التراكيب القرآنية؛ للوقوف على دور هذه الأنماط في النص القرآني، وذلك لأنها تارة تدخل على (اسم الإشارة) ، وتارة أخرى تدخل على (ما مصدرية)، وتارة ثالثة على (المصدر الصريح)، وتارة رابعة تكون داخلة على (الِاسْم الْمَوْصُول)، وتارة خامسة تدخل على (اسم الفاعل)، وتارة سادسة تدخل على (أن)، وهذا مما يدل على شرف قدرها وفخامة أمرها.

النمط الأول:
الكاف الداخلة على (اسم الإشارة)

استعملت كاف التشبيه في النص القرآني بصور متنوعة، ومن خلال الاستعمال القرآني لـ (كاف التشبيه)، تبين لنا أنها تتوزع إلى مجموعة من الأنماط التركيبية المختلفة ومنها الكاف الداخلة على اسم الإشارة:

حيث استخدمت كلمة (كذلك) في التشبيه القرآني في مواضع كثيرة من كتاب الله وجاءت على ثلاث صور وصفية ، فتارة تأتى مجردة من أي سابقة أو لاحقة ، وأخرى مسبوقة بواو العطف ، وتارة ثالثة وردت بلفظة (كذلكم) فى موضع واحد بخلاف الصورتين الأوليين.

أما الصورة الأولى: فتأتى كلمة (كذلك) مجردة من أي سابقة أو لاحقة :

وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن الكريم فى خمس وثمانين آية، وهذه الصورة هي الأكثر استخداما بين صور هذا النمط، ومن نماذجها قول الله – عز وجل– {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [البقرة: ٧٣] ، وقوله سبحانه: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٢٤٢] ،وقوله جل وعز : {نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ } [القمر: ٣٥] إلى غير ذلك من الآيات، وحتى لا يطول البحث سأقتصر على قوله تعالى {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [البقرة: ٧٣] ، كنموذج أوضح فيه وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة.

وصف التشبيه وتحليله:

المشبه فى الآية الكريمة: إحياء الله سبحانه لجميع الموتى يوم القيامة.
المشبه به: إحياء الله سبحانه لقتيل بني إسرائيل.
أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).
وجه الشبه: القدرة الربانية على الإحياء بعد الموت.
نوع التشبيه: مرسل مفصل؛ مرسل لذكر أداة التشبيه، ومفصل لذكر وجه الشبه.
غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه[١].

(١) التشبيهات فى القرآن الكريم تأليف أحمد سليمان أبكر (١/ ٤٥)

تفسير الآية الكريمة:

قال تعالى : (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) أي فقلنا لبني إسرائيل الذين اداروُا في القتيل: اضربوا القتيل، فأمرهم – سبحانه– أن يضربوه ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية، ولا في خبر تقوم به حجة، على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به ، ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها، فأحياه الله(١).

كَذَلِكَ : الإشارة إلى محذوف للإيجاز، أي فضربوه فحيي فأخبر بمن قتله ، كذلك الإحياء يحي الله الموتى، فالتشبيه في التحقق ، وإن كانت كيفية المشبه أقوى وأعظم ، لأنها حياة عن عدم بخلاف هاته فالمقصد من التشبيه بيان إمكان المشبه(٢).

(يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى) أي كما أحيا هذا بعد موته كذلك يحيي الله كل من مات فالكاف في موضع نصب، لأنه نعت لمصدر محذوف(٣).

فإن قيل :وما كان معنى الأمر بضرب القتيل ببعضها؟ قيل: ليحيا فينبئ نبي الله موسى – عليه السلام- والذين اداروا فيه – من قاتله.

(١) ينظر تفسير الطبري (٢/ ٢٣١).
(٢) التحرير والتنوير (١/ ٥٦١)
(٣) يُنظر تفسير القرطبي (١/ ٤٦٢)

فإن قال : وأين الخبر عن أن الله – تعالى – أمرهم بذلك؟ قيل : ترك ذلك اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام الدال عليه ، والمعنى : فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا فضربوه فحيى ، يدل على ذلك قوله تعالى : { كَذَلِكَ يُحْيِي الله الموتى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } .أى ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم، من آيات قدرته في خلق الحياة في الأموات، وأعلامه، وحججه الدالة على نبوته ، لتعقلوا وتفهموا أنه محق صادق فتؤمنوا به وتتبعوه [١].

أثر التشبيه في تفسير الآية :

أمر – سبحانه – بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة – لتموت فيعطيهم درسا إيمانيا بقدرته تعالى، وهم الماديون الذين لا يؤمنون إلا بالماديات – وأن يأخذوا جزءا أو أجزاء منها وأن يضربوا به القتيل فيحيا وينطق باسم قاتله ثم يميته الله بعد ذلك[٢] فجاء باسم الإشارة مع لام البعد، ليدل على حصول البعيد، وينبه عليه بأنه بعيد ولكنه حصل وما تستبعدونه من البعث يقع كالذى شاهده بنو إسرائيل.

والتشبيه هنا ليقرب فهم المعجزات الغيبية، مثل إحياء الموتى، إلى عقول الناس من خلال ربطها بمشاهد ملموسة وواقعية محسوسة، كما أن استخدام التشبيه هنا يقوي الإيمان وذلك بأن القدرة التي أظهرت آياتها في شيء مشاهد، قادرة كذلك على إحياء الموتى، وهو أمر غيبي، وفى ذلك دعوة إلى التأمل في آيات الله وفهمها بالعقل لعلكم تعقلون.

(١) ينظر تفسير الطبري (٢/ ٢٣١-٢٣٣).
(٢) يُنظر تفسير الشعراوي (١/ ٤٠٠).

الصورة الثانية:(وكذلك) مسبوقة بواو العطف

وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن الكريم في ثمان وثلاثين آية، وهي في المرتبة الثانية من حيث الاستخدام بين صور هذا النمط، ومن نماذجها قول الله – عز وجل– { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...الآية}[البقرة: ١٤٣]، وقوله سبحانه: {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ٥٥]، وقوله جل وعز : {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأنعام: ١٠٥]، وقوله تعالى : {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: ١٧٤]، وساكتفى بموضع واحد من النص القرآنى، كنموذج أوضح فيه وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة، وهو قول الله تعالى : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...الآية } [البقرة: ١٤٣]

وصف التشبيه وتحليله:

المشبه: جعل قبلة أمة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، متوسطة بين المشرق والمغرب.

والمشبه به: جعل أمة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وسطا بين الغلو والتقصير(١).

أداة التشبيه: حرف (الكاف)، ووجه الشبه الوسطية.

ونوع التشبيه: مرسل مفصل؛ مرسل لذكر أداة التشبيه، ومفصل: لذكر وجه الشبه.

(١) يُنظر تفسير النسفي (١/ ١٣٧).

وغرض التشبيه: الاهتمام بالمشبه به.

تفسير الآية الكريمة:

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... } هذا خطاب من الله للمؤمنين، لتشريفهم بوصفهم بالعدالة، وما فيه من معنى البعد، للإيذان بعلو درجة المُشَارِ إليهِ، وبُعْدِ منزلتِه في الفضل، وكمال تميزه وانتظامِه بسببه، في سلك الأمور المشاهَدة، والكافُ لتأكيدِ ما أفاده اسمُ الإشارةِ من الفخامة، ومحلُها في الأصلِ النصبُ على أنَّه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، وأصل التقدير جعلناكم أمة وسَطاً جَعْلاً كائناً مثل ذلك الجعلِ، فقُدّم على الفعلِ لإفادةِ القصرِ واعتُبرت الكافُ مقحمةً للنكتة المذكورة فصار نفسَ المصدرِ المؤكدِ لا نعتاً له أي ذلك الجعلَ البديعَ جعلناكم(١).

أي وكما هديناكم أيها المؤمنون صراطًا مستقيما، وطريقاً سويا، وخصصناكم بالتوفيق إلى قبلة إبراهيم عليه السلام وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل ، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطا(٢).

قال أهل المعاني: التشبيه في قوله: {وَكذَلِكَ} يرجع إلى ذكر الأنبياء الذين أنعم الله عليهم، وهم إبراهيم وأولاده، فلما ذكرهم وذكر النعمة عليهم بالكتاب المنزل، والحنيفية المستقيمة، قال: {وَكذَلِكَ} أي: وكما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم، كذلك جعلناكم أمةً وسطًا، وقيل: هذه الآية تتصل بما قبلها من

(١) ينظر تفسير أبي السعود (١/ ١٧٢)
(٢) ينظر تفسير الطبري (٣/ ١٤١).

قوله: {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي: هديناكم وخصصناكم دونهم بالصراط المستقيم، وتحويل قبلتكم إلى قبلة إبراهيم، وكذلك أنعمنا عليكم نعمة أخرى فقال: إنا جعلناكم عدولًا(١).

أثر التشبيه في تفسير الآية :

يبرز التشبيه مكانة الأمة المحمدية بأنها أمة متوازنة، توازن بين الروحانية والمادية، وبين الدنيا والآخرة، فكما جعل الله تعالى الأمة المحمدية خير أمة وأعدلها، وهداها إلى أفضل قبلة، كذلك جعلها أمة وسطًا بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والجفاء.

كما أنه من خلال التشبيه، تُعطى الأمة المحمدية مهمة الشهادة على الناس، لذا جيء مع الشهادة بحرف الاستعلاء (على)، ولم يقل (لهم)؛ لأن الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له، وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار، وأخرت صلة الشهادة أولا في قوله :شهداء على الناس، وقدمت آخرا في قوله :عليكم شهيدا؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم، فيكون من باب تقديم الأهم؛ لأن المنة عليهم في الجانبين: ففي الأول بثبوت كونهم شهداء، وفي الثاني بثبوت كونهم مشهودا لهم بالتزكية(٢).

(١) تفسير الرازي (٤/ ٨٤)، البحر المحيط (٢/ ١١)، تفسير الثعلبي (٢/ ٨)، تفسير البغوي (١/ ١٧٤).

(٢) ينظر: تفسير الكشاف (١/ ١٩٩- ٢٠٠)، تفسير المحرر الوجيز (١/ ٢١٨) إعراب القرآن وبيانه (١/ ٢٠٣)

أو من باب الاتساع في الكلام للفصاحة، وللاهتمام بتشريف أمر هذه الأمة، حتى أنها تشهد على الأمم والرسل، وهي لا يشهد عليها إلا رسولها، ولأن شهيدا أشبه بالفواصل والمقاطع من قوله :عليكم، فكان قوله :شهيدا، تمام الجملة، ومقطعها دون عليكم، وهذا من بدائع فصاحة القرآن(١).

الصورة الثالثة : كلمة (كذلكم) :

وقد استخدمت في آية واحدة، وهي قوله تعالى : {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا } [الفتح: ١٥]

وصف التشبيه وتحليله:

في هذه الآية الكريمة ، يبدو أن التشبيه ليس في صورته البلاغية المباشرة كما هو معهود في الأساليب الأدبية، ولكن يمكن فهمه ضمن سياق الآية كما يلي:

المشبه: قول النبى صلى الله عليه وسلم للأعراب لن تتبعونا.

المشبه به: قول الله تعالى، فالنبى صلى الله عليه وسلم قال لكم مثل قول الله تعالى.

ووجه الشبه المستنتج من الآية يتمثل في رغبة المخلفين في الانضمام إلى المسلمين عند الذهاب لأخذ الغنائم دون أن يكونوا قد شاركوا في الجهاد

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير(٢/١٣-١٤) التحرير والتنوير (٢/٢١)

الفعلي، مما يعكس رغبتهم في الحصول على النتائج دون بذل الجهد اللازم أو المشاركة في المعاناة.وبهذا يمكن اعتباره تشبيهًا ضمنيًا.

والغرض من التشبيه في هذه الآية: هو إبراز السلوك السلبي للمخلفين، وتحذير للآخرين من اتباع مثل هذا السلوك.

تفسير الآية الكريمة:

يحكي الله تعالى جانبا من أقوال الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، في عام الحديبية، ويرد عليها، فيقول: سيقول الأعراب الذين خلفوا في أهليهم، ولم يخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى مكة عام الحديبية، إذا انطلقت -أيها الرسول- وأصحابك إلى خيبر؛ لتأخذوا المغانم التي وعدكم الله بأخذها: دعونا نتبعكم إلى خيبر(١)، وفى ذلك إعلام للنبي صلى الله عليه وسلم، بما سيقوله المخلفون عن الحديبية يتعلق بتخلفهم عن الحديبية وعذرهم الكاذب، وأنهم سيندمون على تخلفهم حين يرون اجتناء أهل الحديبية ثمرة غزوهم، ويتضمن تأكيد تكذيبهم في اعتذارهم عن التخلف بأنهم حين يعلمون أن هنالك مغانم من قتال غير شديد يحرصون على الخروج، ولا تشغلهم أموالهم ولا أهاليهم؛ فلو كان عذرهم حقا لما حرصوا على الخروج إذا توقعوا المغانم، ولأقبلوا على الاشتغال بأموالهم وأهليهم) (٢).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٥)، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٠)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٦٦- ١٦٧).

(يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) أي: يريد الأعراب المخلفون عن الحديبية أن يغيروا بذهابهم معكم وعد الله الذي وعده أهل الحديبية، بأن يجعل غنائم خيبر لهم خاصة؛ عوضا عن غنائم قريش بعد انصرافهم عن مكة على صلح الحديبية، قل لن تتبعونا. أي: قل لهم –يا محمد–: لن تسيروا معنا إلى خيبر[١].

(كذلكم قال الله من قبل) أي: هكذا قال الله لنا من قبل أن نرجع إليكم من الحديبية، فأخبر الله عنهم بما سيقولونه... وقد قالوا ذلك بعد نحو شهر ونصف! فلما سمع المسلمون المتأهبون للخروج إلى خيبر مقالتهم قالوا :قد أخبرنا الله في الحديبية بأنهم سيقولون هذا)! [٢].

(فسيقولون بل تحسدوننا) أى منعتمونا من الخروج معكم؛ لكونكم تحسدوننا على مشاركتكم في الغنائم ! (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) أي: ليس الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسدا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدوّ مغنما، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلا يسيرا [٣]

فإن قلت: ما الفرق بين حرفى الإضراب؟ قلت. الأوّل إضراب معناه: ردّ أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد. والثاني إضراب عن وصفهم إضافة الحسد إلى المؤمنين، إلى وصفهم مما هو أعم منه، وهو الجهل وقلة الفقه. [٤].

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٧١) نظم الدرر (١٨/ ٣٠٨)
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١٦٩)
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٨).
(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٣٣٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

يظهر التشبيه نية المخلفين في تحريف كلام الله أو تأويله لمصالحهم الشخصية، وهو سلوك يُظهر تفضيل الماديات والمصالح الذاتية على الالتزامات الدينية والأخلاقية. وهو ما يعكس عدم فهمهم الحقيقي لتعاليم الإسلام وضعف إدراكهم.

كما يبرز التشبيه التناقض في سلوك المخلفين الذين يريدون الحصول على الغنائم دون المشاركة في الجهاد، ومحاولتهم التبرير الزائف لتصرفاتهم، ومن ثم رد الله عليهم ما قالوا، وأبان أنهم قوم مادّيّون لا يسعون إلا للدنيا، ولا يفهمون ما يعلي شأن الدين، ويرفع قدره(١).

النمط الثانى :

الكاف الداخلة على (ما المصدرية)

لقد استخدم هذا النمط في التشبيه القرآني في ثمانية وخمسين موضعا من كتاب الله، وسأقتصر على التشبيه الوارد فى الموضع الأول من سورة البقرة كنموذج أوضح فيه وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة، قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٣]

وصف التشبيه وتحليله

في الآية تشبيهان:

(١) تفسير حدائق الروح والريحان (٢٧/ ٢٢٧).

الأول: المشبه: مقدر تقديره إيمانا.

المشبه به: إيمان الصحابة –رضوان الله عليهم–

أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).

وجه الشبه: (محذوف) وهو صدق الإيمان.

نوع التشبيه: مرسل مجمل، فهو مرسل لذكر أداة التشبيه، ومجمل: لحذف وجه الشبه، وغرض التشبيه الاهتمام بالمشبه به؛ ببيان صدق إيمان الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–

الثاني: المشبه: إيمان المنافقين

المشبه به: إيمان السفهاء – يقصدون بهم الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–

أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).

وجه الشبه: محذوف.

نوع التشبيه: تشبيه سلبي؛ سلب وجه الشبه عن الطرفين.

غرض التشبيه: الاهتمام بالمشبه به؛ أي محاولة تشويه المنافقين لصورة المؤمنين وإيمانهم برميهم بالسفاهة(١).

تفسير الآية الكريمة:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ): الحديث في الآية الكريمة عن المنافقين، ومعناه: وَإذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا يعني صدِّقوا بقلوبكم، كما صدّق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، وهم أهل

(١) التشبيهات فى القرآن الكريم تأليف أحمد سليمان أبكر (١/ ٣٨)

اليقين والتصديق[١].

أي آمنوا إيمانا مماثلاً لإيمانهم، أو كما تحقق إيمانهم. وهذا من تمام النصح والإرشاد[٢].

والتحقيق في المسألة: أن تشبيه الإيمان المطلوب منهم بإيمان هؤلاء لا يقتضي مساواته له من جميع الوجوه. إذ المطلوب مجرد إيمانهم لا الإيمان المشابه لإيمان النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه -رضوان الله عليهم- في الكمال[٣].

(قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ): أى قالوا: أنؤمن كما آمن ذوو الجهل وضعف الرأي وقلة المعرفة بالمصالح والمفاسد- يعنون الصحابة رضوان الله تعالى عليهم- فنكون نحن وإياهم على طريقة واحدة، فأرادوا بالسفهاء أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، أما المهاجرون منهم فلأنهم عادوا قومهم وأقاربهم وهجروا أوطانهم وتركوا ديارهم، ليتّبعوا النبي صلى الله عليه وسلم، ويسيروا على هديه. وأما الأنصار فلأنهم شاركوا المهاجرين فى ديارهم وأموالهم، ولا يستبعد ممن انهمك في السفاهة وتمادى في الغواية، وممن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا وظن الضلال هدى أن يسمى الهدى سفها وضلالا[٤].

وقد رد الله عليهم بما يكبتهم ويفضحهم فقال : ألا إنهم هم السفهاء وهذا

(١) ينظر بحر العلوم للسمرقندي (١/ ٢٨)
(٢) ينظر تفسير البيضاوي (١/ ٤٦) تفسير أبي السعود (١/ ٤٤).
(٣) ينظر حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (١/ ٣٣٤).
(٤) ينظر تفسير المراغي (١/ ٥٤).

يفيد أن السفه مقصور عليهم فلا يتجاوزهم إلى المؤمنين، فأكد وحصر السفاهة في المنافقين لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه وسعيه فيما يضرها، ومن تمام جهلهم، أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل، وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى، والبعد عن الهدى[1]،

فهؤلاء ليست لديهم معرفة صحيحة لإقامة نفع حقيقي؛ حيث يفسدون في الأرض، ويظنون أن ذلك هو عين الإصلاح، وهذا هو السفه، ولكن لا يعلمون، أن السفه محصور فيهم ومقصور عليهم، لأنهم أعرضوا عن النظر في الدليل وباعوا آخرتهم بدنياهم ، وهذا أقصى ما يبلغه الإنسان من سفه العقل، ولما ذكر السفه في هذه الآية، وهو جهل مطبق كان ذكر العلم أكثر ملاءمة، فقال :لا يعلمون ، فالفرق بين قوله تعالى هنا :ولكن لا يعلمون، وقوله تعالى في الآية السابقة {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } [البقرة: ١٢] أن الإفساد في الأرض أمر حسي يدركه الإنسان بإحساسه وشعوره، وأما السفه فأمر معنوي يدرك بآثاره، ولا يحس به نفسه؛ فنفى الله تعالى العلم عن المنافقين؛ لكونهم سفهاء، بكلمة يعلمون دون يشعرون؛ لأن اتصافهم بالسفه ليس مما شأنه الخفاء، حتى يكون العلم به شعورا، ويكون الجهل به نفي شعور، بل هو وصف ظاهر لا يخفى[2].

أثر التشبيه في تفسير الآية :

في التشبيه الأول: حث على الاقتداء والتأسي عن طريق التفكير الإيجابي،

(١) ينظر تفسير ابن كثير (١/ ١٨٢)
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ٢٨٨)

وإن كانوا قد رفضوا التأسي بسلفهم الصالح، فإنه يأتي الأمر بالتأسي بالصالحين في زمانهم، لأن "شأن النفوس أن تسرع إلى التقليد والاقتداء بمن يسبقها في الأمر"(١).

ولعل مجيء التشبيه في الآية مرسلاً – بذكر أداة التشبيه – ليدل على أن المشبه) وهو إيمان كإيمان الصحابة أضعف في وجه الشبه من المشبه به (إيمان الصحابة– رضوان الله عليهم –)؛حيث أداة التشبيه تحذف عادة عند الرغبة في إثبات أن المشبه عين المشبه به ومطابق له، كما جاء مجملاً – بحذف وجه الشبه – لأن ذكر وجه الشبه : ينم عن : اشتراك طرفي التشبيه في صفة أو صفات دون غيرها، والآية تبين الاختلاف الكبير بين صدق الإيمان، ومجرد ادعائه(٢).

وبالترجيح بين الأقوال الواردة في وجه الشبه نفهم الآية الكريمة، إذ المطلوب من المنافقين مجرد إيمانهم، لا الإيمان المشابه لإيمان النبيصلى الله عليه وسلم، وأصحابه –رضوان الله عليهم– في الكمال. لأن تشبيه الشيء بالشيء يقتضي استواءهما في أمر من الأمور، فأما أن يقال أنه يقتضى الاستواء في كل الأمور فلا (٣).

أما التشبيه الثاني فى قوله : (أنؤمن كما آمن السفهاء) فهو استفهام للإنكار، قصدوا منه التبري من الإيمان على أبلغ وجه، وجعلوا الإيمان المتبرأ

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ٢٨٧)
(٢) ينظر البلاغة العربية في ثوبها الجديد (٢/ ٣٩)
(٣) ينظر حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (١/ ٣٣٤)

منه شبيها بإيمان السفهاء تشنيعا له وتعريضا بالمسلمين بأنهم حملهم على الإيمان سفاهة عقولهم[١].

كما تُظهر الآية التناقض الواضح في سلوك المنافقين، تناقضٌ يهدم منطقهم ويُبطل حججهم، فبينما يُظهرون إيمانًا ظاهريًا على ألسنتهم ، تُخفي قلوبهم نفاقًا وكذبًا. يُشبه هذا التناقض دأب الجبناء الضعفاء، الذين يُحاولون تغيير الوقائع وقلب الحقائق ظنًا منهم أن ذلك سيُخفي نفاقهم، لكنهم لا يُدركون أن الحقائق لا تُخفى، وأن الله مُحيطٌ علمًا بكل ما يُخفونه في قلوبهم، أما الأقوياء وهم المؤمنون الذين استخدموا وسائط المعرفة السليمة للوصول إلى الحقائق، فهم الخالدون الباقون، وهم الذين يحبون الإنسانية بحق وصدق، فيدعونهم إلى إصلاح السلوك، وتقويم الأخلاق، والثبات على المبدأ الحق الذي يرشد إليه العقل، وتقتضيه الفطرة، وتؤيده البراهين الحسية والتاريخية[٢]،

ومن ثم فإن الآية تحمل أثرًا عميقًا في تصحيح المفاهيم، كما تُنير عقول المخاطبين وتُبيّن أن الاستهزاء بالمؤمنين هو في الحقيقة عمل جاهل وسفيه.

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير (١/ ٢٨٧)
(٢) التفسير المنير للزحيلي (١/ ٨٥)

النمط الثالث :

الكاف الداخلة على (المصدر الصريح)

وقد استخدم هذا النمط في التشبيه القرآني في (ثلاثة عشر موضعا)، من كتاب الله أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ... الآية } [البقرة: ١٦٥]، وقوله – جل وعلا– {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ... الآية } [البقرة: ٢٠٠] إلى غير ذلك من الآيات، ولكن سأقتصر على التشبيه الوارد فى الموضع الأول من سورة البقرة كنموذج أوضح فيه وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة، وفيه يقول الله – عز وجل – {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } [البقرة: ١٦٥]

وصف التشبيه وتحليله:

المشبه: حب المشركين للأنداد.

المشبه به: حبهم لله تعالى.

أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).

وجه الشبه: قوة الحب.

نوع التشبيه: مرسل مفصل؛ مرسل لذكر أداة التشبيه، ومفصل: لذكر وجه الشبه.

غرض التشبيه: بيان مقدار المشبه[١].

تفسير الآية الكريمة:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا: أي: ومن الناس من يتخذ من دون ذلك الإله الواحد صاحب الأوصاف الجليلة، أندادا وأمثالا وهم رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون،ويرى بعض العلماء أن المراد بالأنداد هنا: الأوثان التي اتخذوها آلهة لتقربهم إلى الله زلفى، ورجوا منها النفع والضرّ، وقصدوها بالمسائل، ونذروا لها النذور وقرّبوا لها القرابين، وقيل : المراد بها الرؤساء الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون، لا سيما في الأوامر والنواهي، ورجح هذا، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله تعالى: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا [البقرة: ١٦٦] وذلك لا يليق إلّا بمن اتخذ الرجال أندادا وأمثالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون من الانقياد لله تعالى [٢].

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ :أي يحبون الأوثان كحبهم الله تعالى ؛ لأنهم كانوا يقرون بالله تعالى، فهم يعظمونهم ويطيعونهم كتعظيمهم لله والميل إلى طاعته، أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة.

والمحبة: ميل القلب من الحب، استعير لحبة القلب، ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها، ومحبة العبد لله تعالى إرادة طاعته والإعتناء بتحصيل

(١) التشبيهات فى القرآن الكريم تأليف أحمد سليمان أبكر (١/ ٥٣-٥٤)
(٢)تفسير المراغي (٢/ ٣٨) ، محاسن التأويل (١/ ٤٦١/ ٤٦٢).

مراضيه، ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة، وصونه عن المعاصين، لذا مدح – سبحانه – عبادة المؤمنين فقال: وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ: من حب الكفار لأوثانهم؛ ذلك لأن حب المؤمنين لله متولد عن أدلة يقينية ، والحب المتولد عن هذا الطريق يكون أشد من حب المشركين لمعبوداتهم ؛ لأن حب المشركين لمعبوداتهم متولد عن طريق الظنون والأوهام الفاسدة والتقاليد الباطلة التى تزول بأدنى سبب، ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم إلى الله تعالى عند الشدائد ، ويعبدون الصنم زمانًا ثم يرفضونه إلى غيره(١)، ولأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم أحبوه ، ومن شهد له محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم، قال الله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...الآية} [المائدة: ٥٤](٢)، فالمؤمنون يخصون الله سبحانه بالعبادة والدعاء. والكفار لا يخصون أصنامهم بذلك ؛ بل يشركون الله معهم، ويعترفون بأنهم إنما يعبدون أصنامهم ليقربوهم إلى الله (٣).

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ: أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة(٤)

(١) يُنظر تفسير البيضاوي (١/ ١١٧).
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٢٠٤).
(٣) ينظر فتح القدير للشوكاني (١/ ١٩٠).
(٤) ينظر تفسير النسفي (١/ ١٤٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية :

يظهر أثر التشبيه في هذه الآية من خلال مقارنة حب الذين اتخذوا أنداداً من دون الله بحب الله، حيث يساعد التشبيه على فهم العلاقة بين الأشياء المقارنة، فإن قيل: إذا كان المؤمنون أشد حباً لله فما معنى قوله:يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ؟ قيل له: يحتمل أن بعض المؤمنين حبهم مثل حبهم وبعضهم أشد حباً، وفي أول الآية ذكر بعض المؤمنين، وفي آخر الآية ذكر المؤمنين الذين هم أشد حباً لله، والحب لله أن يطيعوه في أمره وينتهوا عن نهيه، فكل من كان أطوع لله فهو أشد حباً له(١)، ولحبهم الله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا ، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجؤون في جميع أمورهم إليه(٢).

وفيه دلالة على أن محبة الله سبحانه من العبادة؛ بل هي أساس العبادة؛لأن الله جعل من سوى غيره به فيها مشركا متخذا لله ندا، ومن ثم فإن قوله تعالى: كحب الله، مفيد لمساواة الحبين لأن أصل التشبيه المساواة وإضافة حب إلى اسم الجلالة من الإضافة إلى المفعول فهو بمنزلة الفعل المبني للمجهول. فالفاعل المحذوف حذف هنا لقصد التعميم أي كيفما قدرت حب محب لله فحب هؤلاء أندادهم مساو لذلك الحب(٣).

(١) بحر العلوم (١/ ١١٠-١١١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).
(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٩١).

النمط الرابع :
الكاف الداخلة على (الِاسْم الْمَوْصُول)

لقد استخدم هذا النمط في التشبيه القرآني في خمسة مواضع من كتاب الله، أذكر منها موضعا يختص بتنبيه المؤمنين على عدم إفساد الصدقات بالتباهي والإيذاء وذلك فى سورة البقرة إذ يقول الله – عز وجل – {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٦٤]

<u>وصف التشبيه وتحليله:</u> في الآية تشبيهان:

<u>الأول :</u> المشبه: المؤمن يبطل صدقته بالمن والأذى – على سبيل النهي.

المشبه به: الكافر يتصدق رياء.

أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).

وجه الشبه: (محذوف) وهو عدم الانتفاع بهذه الصدقات.

نوع التشبيه: مرسل مجمل؛ مرسل لذكر أداة التشبيه، ومجمل: لحذف وجه الشبه.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه[1].

(١) التشبيهات فى القرآن الكريم تأليف أحمد سليمان أبكر (١/ ٧١)

الثاني: المشبه :الكافر الذي يتصدق رياء – وهو نفس المشبه به في التشبيه السابق.

المشبه به: الحجر الأملس المغطى بالتراب فيصيبه مطر غزير يتركه أملسا يابسا.

أداة التشبيه: فى حرفين هما (مثل ، والكاف).

وجه الشبه: سرعة الزوال وعدم القرار.

نوع التشبيه: تمثيلي؛ لكون وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد(١).

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

(يا أيها الذين آمنوا) أى صدّقوا الله ورسوله (لا تبطلوا صدقاتكم) أى: أجورَ صدَقاتكم بالمنّ على الله تعالى والأذى لصاحبها، كما أبطل كفر الذي ينفق ماله (رئاء الناس) ، وهو مراءاته إياهم بعمله، {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ} وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناسُ في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه، وهو غيرُ مريدٍ به الله ولا طالب منه الثواب، وإنما ينفقه كذلك ظاهرًا، وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن كفره غير مرائي، ومن ثم فإنه لا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة، بل ولا يصدق بوحدانية الله وربوبيته، ولا بأنه مبعوث بعد مماته، فمجازي على عمله {فَمَثَلُهُ} أي: مثل هذا المنافق المرائي {كَمَثَلِ صَفْوَانٍ} وهو الحجر الأملس، عليه تراب، فأصابه وابِلٌ مطر عظيم القطر فَتَرَكَهُ صَلْداً أجرد نقيا من التراب الذي كان عليه عليه من نبات ولا غيره،: بل براقا أملسا، لا شيء عليه، وهذا مثل

(١) التفسير المنير للزحيلي (٣/ ٤١)

ضربه الله تعالى لعمل المنافق وعمل المنّان الموذي، يعنى: أن الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالًا كما يُرى التُرابُ على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل؛ لأنه لم يكن لله، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب، فلا يقدر أحد من الخلق على ذلك التراب الذي أزاله المطر عن الصفا، كذلك هؤلاء في العمل الذي حبط، إذا قدموا على ربهم لم يجدوا شيئًا، فهو قوله: {لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا} أي: لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا ؛ لأنهم عملوه رئاء الناس وطلب حمدهم، فكان حظهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها، ولا تنفعهم يوم القيامة، {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} إلى الخير والرشاد [1].

أثر التشبيه في تفسير الآية :

في التشبيه الأول: تحذير للمؤمنين من المن والأذى، حتى لا يشابهوا الكفار المنفقين أموالهم رئاء الناس، فيكون وجه الشبه المشترك: عدم الانتفاع بهذه الصدقات في الآخرة. وإن كان وجد فارق الإيمان بين الطائفتين، كما أثبتت ذلك الآية الكريمة ، وفيه تعريض بأن الرياء والمنّ والأذى على الإنفاق من صفات الكفار، ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها [2].

وجاء النهي بهذه الصيغة لا تبطلوا صدقاتكم، لأنها أشد وقعا من قولك (لا تمنوا، ولا تؤذوا)، ولأنه لما كانت النفوس مولعة بذكر ما يصدر عنها من الإحسان للتمدح والفخر، وكان ذلك مطية الرياء، وطريق المن والإيذاء، لا

(١) ينظر جامع البيان (٥/ ٥٢١)، تفسير الثعلبي (٢/ ٢٦١-٢٦٢).
(٢) ينظر تفسير الزمخشري (١/ ٣١٢)، محاسن التأويل (٢/ ٢٠٥).

سيما إذا آنس المتصدق تقصيرا في شكره على صدقته أو احتقارا لها، فإنه لا يكاد يملك حينئذ نفسه ويكفها عن المن أو الأذى- كان من الهدى القويم ومقتضى البلاغة أن يؤتى في النهي عن المن والأذى والرياء بعبارات مختلفة؛ لأجل التأثير في التنفير عن ذلك، والحمل على تركه(١).

أما التشبيه الثاني: (كالذي ينفق ماله رئاء الناس..) ففيه معنى أن المنفق لغير الله هو في الظاهر يعمل عملاً يترتب عليه الأجر، ولكن وراء هذا الإنفاق مانع يمنع من نموه وزكاته، كما أن تحت التراب حجرًا يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه، فلا ينبت ولا يخرج شيئًا، ومن ثم فإن الغرض من هذا التشبيه تفظيع المشبه به(٢).

النمط الخامس :

الكاف الداخلة على (اسم الفاعل)

وقد استخدم هذا النمط من التشبيه القرآني في (موضع واحد)، وهو قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [الرعد: ١٤]، وهاك وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة.

(١) ينظر: تفسير المنار (٣/ ٥٤).
(٢) يُنظر طريق الهجرتين لابن قيم الجوزية (ص: ٣٦٨) ، التحرير والتنوير (٣/ ٤٨).

وصف التشبيه وتحليله :

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي

المشبه: المشركون حينما يدعون آلهتهم ويرجون نفعها فلا تستجيب لهم تلك الآلهة بشيء.

المشبه به: شبه حال الكافرين في دعاء الأصنام بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه بكف مبسوط، أو شبه عدم استجابة الأصنام لمن يدعونها بعدم استجابة الماء لباسط كفيه إليه من بعيد[1].

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: طلب المحال، والجهل، وسوء التقدير للأمور.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة

(له دعوة الحق) أي: لله وحده الدعوة الحق والصدق- وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله- فهو المستحق وحده للعبادة والدعاء دون ما سواه، (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) أي: والذين يعبدهم المشركون ويدعونهم من دون الله لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم فلا يجيبون دعاءهم بأي شيء مما يريدونه- قليلا كان أو كثيرا- من أمور الدنيا والآخرة ولا ينفعونهم إلا كما ينتفع من يبسط كفيه إلى الماء، ويدعوه ليرتفع إلى فمه، وهذا غير ممكن؛ فالماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فمه، وكذلك ما يدعونه؛ جماد

(١) التفسير المنير أ.د وهبة الزحيلي (١٣/ ١٢٩).

لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، ولا يقدر على نفعهم[١].

وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تبق كفاه منه شيئا، ولم يبلغ طلبته من شربه [٢].

(وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ) أي فى ضياع وخسار، فإن دعوا الله لم يجبهم، وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم. [٣].

أثر التشبيه في تفسير الآية

هذا التشبيه يكشف عن أثر كبير في توضيح معنى الآية وفهمها، حيث صور المشركين في دعائهم الأصنام تصويراً واضحاً فاضحاً، فلا يمكن أن تراه في صورة أبلغ ولا أوضح من تلك الصورة، صورة العطشان الهائم على وجهه حتى إذا ما وجد الماء، أقبل عليه ومد يديه إليه سائلاً ومتوسلا للماء أن يتحرك من مكانه باتجاه فيه فيروي عطشه، وذلك ما لا يقول به من له مسحة من عقل، فكذلك تلك الأصنام لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، فكيف تنفع غيرها، وبهذا يُظهر التشبيه كيف أن دعاء الكافرين للأصنام لا يجدي نفعًا، مقارنة بكف الشخص العطشان يبتغي الماء بشدة.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٩٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٥) ، تفسير القرطبي (٩/ ٣٠٠) .
(٢) ينظر البحر المحيط (٦/ ٣٦٧).
(٣) ينظر: تفسير المراغي (١٣/ ٨٤)

ويكشف عن طبيعة التشبيه العلامة الطاهر بن عاشور فيقول " والكلام تمثيلية، شبه حال المشركين في دعائهم الأصنام، وجلب نفعهم، وعدم استجابة الأصنام لهم بشئ، بحال الظمآن يبسط كفيه، يبتغي أن يرتفع الماء في كفيه المبسوطتين إلى فمه ليرويه، وما هو ببالغ إلى فمه بذلك الطلب، فيذهب سعيه باطلا "(١).

ومن آثار التشبيه أنه أورد نفي الاستجابة بصيغة المضارع التي تفيد التجدد والحدوث في الماضي والحاضر والمستقبل على حد سواء فى قوله: (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي: كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه، يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، ولا يقدر على نفعهم(٢).

وفي الآية إثبات الإستجابة لله، بل حصر لها عليه دون سواه، يفيد ذلك التقديم في قوله (له) على ما بعدها في قوله:(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)حيث يدل على الاختصاص أي له وحده لَا لغيره دعوة الحق(٣).

كما أن التشبيه أبرز في معرض التهكم حيث أثبت للماء استجابة، زيادة في التخسير والتحسير(١).

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ١٠٩)
(٢) تفسير الكشاف (٢/ ٥٢١)
(٣) زهرة التفاسير (٧/ ٣٩١٦)

النمط السادس :

كاف التشبيه الداخلة على (أنّ)

وقد استخدم القرآن الكريم هذا النمط من التشبيه القرآني في مواضع كثيرة من كتاب الله، وجاءت على تسع صور وصفية، وليس ثمة فروق بين التشبيهات الآتى ذكرها إلا في الضمائر، أو الكلمات التي تتبع "كأنّ" والسياق الذي تستخدم فيه، وهاك صورها نستعرضها:

الصورة الآولى:(كأنهم) : وتستخدم مع جمع المذكر الغائب، وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ومن نماذجها قول الله – عز وجل– {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ } [الطور: ٢٤] وقوله سبحانه: {تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ } [القمر: ٢٠] إلى غير ذلك من الآيات.

الصورة الثانية (كَأَنَّهُ) وتستخدم مع المفرد المذكر الغائب ، وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن الكريم خمس مرات ومن نماذجها قول الله – عز وجل– {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ...الآية } [الأعراف: ١٧١] وقوله سبحانه: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ } [الصافات: ٦٥]

الصورة الثالثة (كَأَنَّكَ } وتستخدم مع المفرد المذكر المخاطب ، وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك فى قول الله – عز وجل– {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا

(١) تفسير القاسمي (٦/ ٢٧٢)

يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٨٧]

الصورة الرابعة { كَأَنَّهَا } وتستخدم مع المفرد المؤنث الغائب ، وقد استخدمت هذه الصورة ثلاث مرات في القرآن الكريم ومن نماذجها قول الله – عز وجل– {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ...الآية } [النمل: ١٠]

الصورة الخامسة { كَأَنَّهُنَّ } وتستخدم مع جمع المؤنث الغائب ، وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن مرتين وذلك فى قول الله – عز وجل– {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ } [الصافات: ٤٩] وقوله سبحانه: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٨]

الصورة السادسة { كَأَنَّمَا } وتعطي معنى الحصر أو التخصيص في الشيء المشبه به ، وقد استخدمت هذه الصورة ثلاث مرات في القرآن الكريم ومن نماذجها قول الله – عز وجل– {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ } [الأنفال: ٦]

والصورة السابعة : {فَكَأَنَّمَا }: بإضافة الفاء ، وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن مرتين وذلك فى قول الله – عز وجل– {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ..الآية}

[المائدة: ٣٢] وقوله سبحانه: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]

أما الصورة الثامنة فتدخل "في" بعد (كأنّ) لتصير (كَأَنَّ فِي } ، وقد استخدمت هذه الصورة مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك فى قول الله – عز وجل– {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [لقمان: ٧]

الصورة التاسعة: (كَأَنْ لَمْ): والتى تستخدم في التشبيه للإشارة إلى نفي حدوث شيء بعد "كأن" وقد استخدمت هذه الصورة فى تسع مرات، ومن نماذجها قول الله – عز وجل {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } [النساء: ٧٣] وقوله سبحانه: {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٩٢] إلى غير ذلك من الآيات.

ومن خلال استعراض هذه الصور التسع يمكن توزيعها إلى أربعة مواضع:

الموضع الأول : (كأن) الداخلة على الضمائر.

الموضع الثانى : (كأن) الداخلة على (ما).

الموضع الثالث : (كأن) الداخلة على (فى).

الموضع الرابع : (كأن) الداخلة على (لم).

وحتى لا يطول البحث سأقتصر على نموذج واحد لكل موضع لأوضح فيه وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة.

الموضع الأول
(كأن) الداخلة على الضمائر

استعملت كأن الداخلة على الضمائر في النص القرآني بصور متنوعة، ومن خلال الاستعمال القرآني لها، تبين انها تأتى متصلة إما بضمير الخطاب كما سلف، وإما متصلة بضمير الغائب وقد سبق أن ذكرنا نماذج كثيرة لها(١)، لذا سأقتصر على النموذج الخاص بضمير الخطاب (كأنك) والذى ورد ذكره في موضع واحد من كتاب الله – عز وجل – وذلك فى قول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: ١٨٧]، وهاك وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة:

وصف التشبيه وتحليله :

المشبه: الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: الشخص "الحَفِيّ ببرهم" الذى على دراية، أو علم بوقت قدوم الساعة، استنكاراً على سؤال الكفار عن القيامة.

أداة التشبيه: كَأَنَّ.

وجه الشبه: محذوف

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل، لذكر أداة التّشبيه وهي الكاف، وحذف

(١) ينظر البحث ص ٥٤

وجه الشّبه[1].

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يسألك الناس متى يحل يوم القيامة، استبعادا لوقوعها وتكذيبا بوجودها، كما قال تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سبأ: ٢٩] ، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يجيبهم قل- يا محمد- للذين يسألونك عن وقت وقوع يوم القيامة: إنما علم ذلك عند خالقي ومدبر شؤوني، ولا يعلم بها أحد حتى ولو كان ملكا مقرّبا أو نبيّا مرسلا، كما قال تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ...الآية} [فصلت: ٤٧]، وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...الآية } [لقمان: ٣٤]، فبين الله – عز وجل – أن الساعة لا يظهرها ولا يوجدها في وقتها الذي قدر أنها تقوم فيه، إلا هو وحده سبحانه، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: خفي علم وقتها على أهل السموات والأرض، وإذا خفي الشيء ثقل، أو ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض، واشتد خوفهم منها؛ لما سيكون فيها من الأهوال، لا تأتيكم إلا فجأة، وأنتم لا تشعرون بمجيئها، يسألونك عنها يا محمد، وكأنك قد أكثرت السؤال عنها وبالغت حتى علمت وقتها، قل لهم: لا علم لي بوقتها، إنما علم ذلك عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون،ولا يصدقون أن ذلك لا يعلمه إلا الله، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه[2].

(١) التفسير المنير للزحيلي (٩/ ١٨٩).

(٢) ينظر جامع البيان (١٣/ ٢٩٣)، تفسير السمرقندي (١/ ٥٧٣)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣١١) ، تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٨)

أثر التشبيه في تفسير الآية :

التشبيه يوضح أن معرفة قيام الساعة من الأمور الغيبية التي اختص الله بها نفسه- سبحانه- والحكمة في إخفاء أمر الساعة وعلمها عن العباد، أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها، فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة، وأزجر في المعصية(١)

وجاء التعريف بوصف الرب وإضافته إلى ضمير المتكلم إيماء إلى الاستدلال على استئثار الله تعالى بعلم وقت الساعة دون الرسول المسؤول؛ ففيه إيماء إلى خطئهم، وإلى شبهة خطئهم، وقد أطلق الإرساء هنا؛ تشبيها لوقوع الأمر الذي كان مترقبا أو مترددا فيه بوصول السائر في البر أو البحر، إلى المكان الذي يريده(٢).

كما يظهر التشبيه مدى الإلحاح والفضول البشري لمعرفة الأمور الغيبية، وخصوصًا الساعة، وكيف أنهم يوجهون السؤال إلى النبى صلى الله عليه وسلم بناءًا على زعمهم أنه صلى الله عليه وسلم عالم بالمسئول عنه، أو أن العلم بذلك من مواجب الرسالة، فالجملة التشبيهية (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) في محل النصب على أنها حالٌ من الكاف جيء بها بياناً لما يدعوهم إلى السؤال على زعمهم وإشعاراً بخطئهم في ذلك أي يسألونك مُشبّهاً حالُك عندهم بحال من هو حفيٌّ عنها أي مبالِغٌ في العلم بها فعيلٌ من حِفيَ وحقيقتُه كأنك مبالغٌ في السؤال عنها فإن ذلك في حكم المبالغةِ في العلم بها لِما أن مَنْ بالغ في

(١) تفسير الرازي (١٥/ ٤٢٣)
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٠٢)

السؤال عن الشيء والبحثِ عنه استحكم علمُه به ومبنى التركيبِ على المبالغة والاستقصاءِ [١].

كما أن الآية الكريمة تشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا تتعلق همته بتعيين وقت الساعة، إذ لا فائدة في ذلك، ولأنه لو اهتم بذلك لكان في اهتمامه تطلباً لإبطال الحكمة في إخفائها. وفي هذا إشارة إلى أن انتفاء علمه بوقتها، لا ينافي كرامته على الله تعالى، بأن الله أعطاه كمالاً نفسياً يصرفه عن تطلب ذلك[٢].

الموضع الثاني

(كأن) المقترنة ب (ما)

استعملت (كأن) الداخلة على(ما) في التشبيه القرآني بصورتين متقاربتين، الأولى: بصورتها المجردة (كأنما) ، وقد استخدمت هذه الصورة ثلاث مرات – كما ذكرنا– والثانية،: تأتى مسبوقة بالفاء لتصير {فَكَأَنَّمَا } وقد استخدمت هذه الصورة في القرآن مرتين

وسأقتصر على نموذج –لهذه الصورة– يحوى جملة من التشبيهات البديعة في آن واحد وهو قول الله –عزوجل– {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } [الحج: ٣١] ، وسأبين من خلال هذه الآية وصف التشبيه

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/ ٣٠١)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٠٤– ٢٠٥)

وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة:

وصف التشبيه وتحليله :

المشبه: حال من يشرك بالله.

المشبه به: هو الإنسان الذي يخر من السماء، ومن ثم تتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان بعيد.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: حالة التشتت والضياع والعجز التام للإنسان عندما يُشرك بالله فيصبح في موضع خطر، بلا حماية، ومعرض للتشتت والضياع ، لترك المنزلة الأسمى والانحطاط إلى ما هو دون.

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه منتزع من متعدد [1].

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يقول الله تعالى: حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ به، أي: مسلمين لله ومستقيمين على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له، مائلين عن الباطل إلى الحق، وعن الشرك إلى التوحيد، مقبلين على الله، معرضين عن عبادة ما سواه سبحانه ، كما قال تعالى :{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠] ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ شيئا في عبادته فمثله في هلاكه، وضلاله عن الهدى والحق، وبعده من ربه؛ كمن خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ أى سقط من السماء إلى الأرض،فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ، يعني: تختلسه

(١) التفسير المنير (١٧/ ٢٠٤).

الطير، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ، يعني: تذهب به الريح فِي مَكانٍ سَحِيقٍ، أي: بعيد، فكذلك الكافر في البعد من الله عَزَّ وَجَلَّ. (١).

وفي توصيف التشبيه يقول الطاهر بن عاشور – : أعقب نهيهم عن الأوثان بتمثيل فظاعة حال من يشرك بالله في مصيره بالشرك إلى حال انحطاط، وتلقف الضلالات إياه ، ويأسه من النجاة ما دام مشركاً تمثيلاً بديعاً إذ كان من قبيل التمثيل القابل لتفريق أجزائه إلى تشبيهات(٢).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا التشبيه يزيد من قوة الصورة الذهنية للمخاطبين، مما يجعل الرسالة أكثر وضوحًا وتأثيرًا، فقد شبه الإيمان بالسماء؛ لعلوه، والإشراك بالسقوط منها؛ فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، وهذا السقوط إن كان في حق المرتد فظاهر، وهو في حق غيره باعتبار الفطرة؛ فتخطفه الطير؛ فإن الأهواء المردية توزع أفكاره، وفي ذلك تشبيه الأفكار الموزعة بخطف جوارح الطير(3).

كما يبرز التشبيه خطورة الشرك بالله وعاقبتـــــه، وأنه يؤدي إلى حالة من الضعف والهوان، ولذا قال ومن يشرك بالله ... حيث جاءت الجملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الإشراك، وإظهار الاسم الجليل (الله) في مقام الإضمار؛ لإظهار حال قبح الإشراك(4).

ومن بدائع هذا التشبيه أنه يجوز أن يكون من المركب والمفرق؛ فإن كان تشبيها مركبا، فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٠)، بحر العلوم (٢/ ٤٥٨).
(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٤).
(٣) ينظر: تفسير الألوسي (١٤٢/٩، ١٤٣)
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٥)

ليس بعده نهاية؛ فيكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه نجاة، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء، فاختطفته الطير، فتفرق مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

وإن كان مفرقا: فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة؛ فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به، وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه؛ فمنها هبط إلى الأرض، وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة، والطير التي تتخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق، هي الشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه وتؤزه أزا، وتزعجه وتدفعه إلى مظان هلاكه؛ فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي حمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء[1].

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ١٥٥)، البحر المحيط (٧/ ٥٠٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٨٣).

وفي الآية إشارة إلى أن الكافرين قسمان: قسم شركه ذبذبة وشك؛ فهذا مشبه بمن اختطفته الطير، فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، فكذلك المذبذب؛ متى لاح له خيال اتبعه وترك ما كان عليه .وقسم مصمم على الكفر، مستقر فيه، فهو مشبه بمن ألقته الريح في واد سحيق، وهو إيماء إلى أن من المشركين من شركه لا يرجى منه خلاص، كالذي تخطفته الطير، ومنهم من شركه قد يخلص منه بالتوبة، إلا أن توبته أمر بعيد عسير الحصول؛ فالتشبيه مركب تمثيلي(١).

ومن ثم جاء القرآن بهذه الصورة من التشبيه لتصوير العواقب الوخيمة للشرك في صورة حسية قوية ومؤثرة.

الموضع الثالث

(كأن) الداخلة على (في)

وقد استخدمت هذه الصورة مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك فى قول الله – عز وجل–{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [لقمان: ٧]، وسأبين من خلال هذه الآية وصف التشبيه وتحليله وأثره فى تفسير الآية الكريمة:

<u>وصف التشبيه وتحليله:</u>

المشبه: هو الشخص الذي يُتلى عليه القرآن ويتجاهله.

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/ ٧١)، ، تفسير أبي السعود (١٠٦/٦)، التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٥)، إعراب القرآن وبيانه (٦/ ٤٢٨).

المشبه به: هو وجود الوقر في الأذنين الذي يمنع الشخص من السماع.
أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).
وجه الشبه: هو المقارنة بين تجاهل الشخص للآيات، وبين حالة الأذن التي كأن فيها وقراً أو ثقلاً يمنع السماع.
نوع التشبيه : مرسل مجمل[1].
غرض التشبيه: هو إبراز حالة التجاهل والاستكبار التي يبديها الشخص عند سماع الآيات، وكيف أنه يتعامل معها كما لو أنه لا يسمعها على الإطلاق، وذلك لشدة استكباره وتعاليه ، فالاستكبار يعمي القلوب والعقول. والتشبيه هنا يؤكد على أن تجاهل الحقيقة لن يعفي الشخص من العواقب، وهو ما يُعبر عنه في نهاية الآية بـ "فبشره بعذاب أليم"
<u>تفسير الآية الكريمة:</u>
يقول الله تعالى مبينا حال الذين أعرضوا عن القرآن، مشتغلين بغيره: وإذا تُتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله ؛ ليؤمن بها، وينقاد إليها، ولى عنها وأعرض وأدبر وتصام وما به من صمم، كأنه ما يسمعها؛ لأنه يتأذى بسماعها، إذ لا انتفاع له بها، ولا أرب له فيها،كأن في أذنيه صمما وثقلا يمنعه من سماعها، (فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) أي فبشر هذا المعرض وأوعده بالعذاب الذي يؤلمه يوم القيامة.بشارة تؤثر في قلبه الحزن والغم، وفي بشرته السوء والظلمة والغبرة بعذاب أليم مؤلم لقلبه ولبدنه، لا يقادر قدره، ولا يدرى بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نعمت البشارة![2]

(١) ينظر: التفسير المنير (٢١/ ١٣٠)

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٣١)، ، تفسير القرطبي (١٤/ ٥٧) تفسير البيضاوي (٢١٣/٤)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٢)، تفسير المراغي (٢١/ ٧٥).

أثر التشبيه في تفسير الآية :

التشبيه الوارد في الآية يُعد أداة بلاغية قوية تُستخدم لتقريب المعاني إلى الأذهان وتوضيحها بطريقة تلمس الحواس والمشاعر معًا، فالتشبيه يفرق بين مجرد سماع الكلمات بالأذن، وبين استقبالها وتأملها بالقلب، فيشير إلى أن الأذن قد تكون سليمة لكن القلب مُغلق بسبب الاستكبار، ولذا قال { وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا } [لقمان: ٧] وفيه رمز إلى أن من معها لا يتصور منه التولية والاستكبار؛ لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها، والخضوع لها(١).

كما أن فيه تمثيل للإعراض عن آيات الله، كقوله تعالى :{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} [النازعات: ٢٢] ، وشبه في ذلك بالذي لا يسمع الآيات التي تتلى عليه، ووجه الشبه هو عدم التأثر ولو تأثرا يعقبه إعراض، كتأثر الوليد بن المغيرة. و(كأن) مخففة من (كأن)، وكرر التشبيه؛ لتقويته مع اختلاف الكيفية في أن عدم السمع مرة مع تمكن آلة السمع، ومرة مع انعدام قوة آلته؛ فشبه ثانيا بمن في أذنيه وقر، وهو أخص من معنى كأن لم يسمعها(٢).

كما يُظهر التشبيه القرآنى أن المخاطب لديه القدرة على السماع ولكنه يختار بإرادته ألا يستجيب، وهذا يجعل الاستكبار ليس ناتجًا عن عجز بل عن تعمّد، فالله قال على سبيل التشبيه هنا :كأن في أذنيه وقرا ، وصرح في غير هذا الموضع أنه جعل في أذنيه الوقر بالفعل، في قوله :{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٦٩/٧).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢١/ ١٤٤).

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الكهف: ٥٧] ، والظاهر أن الوقر المذكور: على سبيل التشبيه بالوقر الحسي؛ لأن الوقر المعنوي يشبه الوقر الحسي، والوقر المجعول على آذانهم بالفعل: هو الوقر المعنوي المانع من سماع الحق فقط دون سماع غيره، والعلم عند الله تعالى(١)، ومن ثم فإن التشبيه يضيف طبقة من العمق اللغوي والرمزي للآية، حيث يُعتبر الوقر في الأذن عائقًا ماديًا، بينما الاستكبار هو عائق معنوي، مما يمنح النص غنى بلاغيًا ودلاليًا.

كما تضمنت هذه الآية ذم المشتري للهو الحديث من وجوه: التولية عن الحكمة، ثم الاستكبار، ثم عدم الالتفات إلى سماعها كأنه غافل عنها، ثم الإيغال في الإعراض بكون أذنيه كأن فيهما صمما يصده عن السماع(٢).

بهذا نرى أن التشبيه في القرآن يخدم أغراضًا عديدة، ويعمل على مستويات متعددة، لإيصال الرسائل الإلهية، ومنها توجيه الناس وتعليمهم ، وتنبيههم إلى ما في الحياة من دروس وعبر.

الموضع الرابع

(كأن) الداخلة على (لم)

وقد استخدمت هذه الصورة من التشبيه القرآني (كَأَنْ لَمْ) في تسعة مواضع من كتاب الله –عز وجل– وقد أوردت لها بعض النماذج، أخص منها بالذكر الموضع الوارد في سورة يونس لأوضح فيه وصف التشبيه وتحليله

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ١٧٩).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١١)

وأثره فى تفسير الآية الكريمة، وفيه يقول المولى – عز وجل – {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [يونس: ٤٥]

وصف التشبيه وتحليله :

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي حيث شبه حالهم في الحشر بحال الذين لم يطل مكثهم في القبور، وذلك في قوله تعالى: كان لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ .

المشبه: حال الناس يوم الحشر.

المشبه به: المحشورون ولو لم يلبثوا إلا ساعة من نهار(١).

أداة التشبيه : (كأن) هذه هي المخففة من الثقيلة، التقدير: كأنهم لم يلبثوا.

وجه الشبه: قصر المدة التي يشعرون بها، حيث إنهم يشعرون أن المدة التي قضوها في الدنيا كانت قصيرة جدًا، مثل ساعة من النهار، ويتعارفون بينهم وكأنهم كانوا معًا لفترة قصيرة..

غرض التشبيه: بيان مقدار حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم في موقف الحساب، كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، يتعارف الناس بينهم يوم القيامة، كما كانوا يتعارفون في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة لما يرون من الأهوال ، وتخصيص الساعة بالنهار؛ لأن ساعاته أعرف حالا من ساعات الليل(٢).

والمراد باللبث: هو اللبث في الدنيا، وقيل: في القبور، استقلوا المدة الطويلة؛ إما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا، فجعلوا وجودها كالعدم، أو استقصروها للدهش والحيرة، أو لطول وقوفهم في المحشر، أو لشدة ما هم فيه من

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٨٢)

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٤/ ١٥٠)

العذاب، نسوا لذات الدنيا، وكأنها لم تكن[١]، فكأن هؤلاء يتحققون قلة ما لبثوا؛ إذ كل أمد طويل إذا انقضى، فهو واليسير سواء[٢]، وفي معرفة بعضهم بعضاً، وعِلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخُ لهم، وإثباتُ الحجة عليهم. وقيل: إذا تعارفوا وبَّخ بعضهم بعضاً، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني، وكسَّبتني دخول النار. [٣].

قد خسر وغُبن الذين جحدوا ثواب الله وكذبوا بلقاء الله ، وفيه إظهار في موضع الإضمار، والتعبير عنهم بالموصول الذين كذبوا مع كون المقام مقام إضمار– حيث لم يقل: خسروا–؛ لذمهم بما في حيز الصلة، والإشعار بعليته لما أصابهم؛ فنبه على العلة الموجبة للخسران، وهو التكذيب بلقاء الله[٤]، (وما كانوا مُهْتَدِينَ) من الضلالة، وموفقين لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله، لأنه أكسبهم ذلك ما لا قبل لهم به من عذاب الله [٥].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

كشف التشبيه عن جانب من أهوال يوم القيامة وما يصيب الناس من فزع عظيم، ويظهر ذلك جلياً من هذا المشهد الذي يختلف فيه المكذبون فيظن بعضهم أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، وبعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم، والبعض الآخر يقول لبثنا ضحى أو عشية يوم من الأيام كما في آيات أخرى، وسبب ذلك هو هول ما عاينوه من الأهوال التي أثارتهم وجعلتهم في حالة من الفزع والحيرة، مما أدى إلى اضطراب حواسهم وجعلهم في حالة

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥١٠)

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢٣)

(٣) زاد المسير (٢/ ٣٣٣)

(٤) ينظر: تفسير أبي حيان (٦/٦٥)، إرشاد العقل السليم (٤/١٥٠).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٩٧).

من الفزع والحيرة ، فكان هذا البعث على ما كانوا عليه من الهيئات زيادة في إبطال دعواهم في عدم البعث ، وتأكيدًا لصدق الرسل –عليهم السلام – كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فيه تخصيص الساعة بالنهار؛ لأن ساعاته أعرف حالا من ساعات الليل ، فكأن هؤلاء يتحققون قلة ما لبثوا؛ إذ كل أمد طويل إذا انقضى، فهو واليسير سواء .

وفي التشبيه أيضاً تنبيه إلى عظيم قدرة الله في بعث الموتى فيستوي عنده سبحانه من لبث في قبره ساعة من النهار ومن لبث في قبره آلاف القرون، ذلك لأنه لا يعجزه شيء إنما أمره أن يقول للشيء كن فيكون.

كما أن هذا التشبيه فيه تنبيه على قصر الأمل، وهو العلم بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب؛ فإنه يبعثه على مبادرة طي صحائف الأعمال، ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء، ويحثه على قضاء جهاز سفره، وتدارك الفارط، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة، فيقوم بقلبه– إذا داوم مطالعة قصر الأمل– شاهد من شواهد اليقين، يريه فناء الدنيا، وسرعة انقضائها، وقلة ما بقي منها، وأنها قد ترحلت مدبرة، وأنها لم يبق منها إلا كما بقي من يوم صارت شمسه على رؤوس الجبال، ويريه بقاء الآخرة ودوامها، وأنها قد ترحلت مقبلة، وقد جاء أشراطها وعلاماتها، وأنه من لقائها كمسافر خرج صاحبه يتلقاه، فكل منهما يسير إلى الآخر، فيوشك أن يلتقيا سريعا(١)، ومن ثم فقد أظهر التشبيه قصر الحياة الدنيا وما هي إلا غمضة عين، ومن ثم يُعد هذا التشبيه من أبلغ التشبيهات القرآنية، حيث أسهم في تفسير الآية وبيان معناها بشكل واضح ودقيق.

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/ ٤٤٨).

الخاتمة :

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على رسوله المصطفى ونبيه المجتبى. وبعد:

فإن الوقوف على حروف المعاني، والعناية بها ، والبحث والتبصر وإمعان النظر فيها؛ يعد من أهم وسائل تحصيل المعرفة والإفادة. وقد تناولت في بحثي حرفا من هذه الحروف وهو (كاف التشبيه)، وقد اهتممت في دراستى ما اتفق وطبيعة الموضوع، وما يتعلق به من كافة جوانبه، والوسائل التفسيرية التي تحقق أهداف البحث.

وبعد هذه الرحلة الماتعة مع قدر يسير جدا من كلام الحق المبين في رحاب (كاف التشبيه) في القرآن الكريم، أتوقف عند بعض النتائج المستخلصة منها، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- يتبين لنا من خلال تلك الدراسة أن القرآن الكريم هو منبع النظر، ومنهل الفكر، يدعو إلى تدبر آياته، فمن فيضه يستمد الباحثون الحكم والعبر ، حتى في أبسط أجزائه، بل في حروفه، فعجائبه لا تنقضى ولا تنتهى.
- دراسة كاف التشبيه دراسة متأنية؛ لفهم الآية فهمًا عميقًا؛ حتى نتمكن من الوقوف على جزء من عظمة القرآن الكريم، من خلال التعبير بكاف التشبيه، وبيان أثره في المعنى والدلالة.

- البحث عن معاني الحروف من أهم الأدوات التي يحتاجها المفسر؛ فاختلاف مدلولاتها يؤدي إلى اختلاف المعنى، ومن ثم اختلاف الكلام والاستنباط.

- أظهرت نتائج البحث أن دلالة الكاف على التشبيه هو أصل معانيها، ومع أن النحاة ذكروا للكاف المفردة معاني آخر، إلا أنهم جعلوا في مقدمتها معنى التشبيه

- تعد الكاف من أكثر أدوات التشبيه استخدامًا، ولا يكون الاسم الذي يأتي بعدها إلا مجرورًا.

- تكشف لنا تلك الدراسة أن حروف المعاني تنقسم إلى قسمين، حروف عاملة، تعمل فيما بعدها، وحروف مهملة، وحروف المعاني منحصرة في خمسة أقسام: أحادي وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي.

- أن الحرف لا يكون عمدة في بناء الكلام، ولكنه طرف في بناء المعنى ومن ثم سمى حرفا؛ لكونه حدا للحرف، وللكلام، ولا تتجلى قيمته إلا في السياق

- كاف التشبيه تعمل على توضيح المعاني وجعلها أكثر فهمًا للقارئ، حيث تضفي على النصوص القرآنية عمقًا ورونقًا لا يُضاهى.

- لحروف المعاني دور بارز في فهم النص القرآني؛ وبخاصة التشبيه ومن ثم اهتم القدماء به اهتماما بالغًا، وهذا مما يدل على مكانته العالية وأثره الكبير، وأن المقارنة بين شيئين تزيد من قوتهما في إيقاظ المشاعر والتأثير في النفوس، سواء كان الغرض منها المدح أو الذم أو الفخر أو غير ذلك.

- التشبيهات القرآنية بجميع أتماطها وصورها قد تناولها المفسرون بالإعراب والتحليل، فتعددت الأوجه الإعرابية لهذه الأنماط القرآنية، وكثرت حولها التقديرات والتأويلات على مستوى النحاة والمفسرين ، مما يدل على شرف قدرها وفخامة أمرها

- وجوب العناية بكل جزء من أجزاء الكلمة؛ فقد وقفنا سوياً على اختلافات دقيقة في دلالات كاف التشبيه، بحيث لو تم استبدالها بحرف آخر مكانه ،. لم يكن وفاؤه بالمعنى، وإحكام دقته كحاله .

التوصيات

– على الباحثين أن يهتموا اهتمامًا بالغًا بدراسة حروف المعاني، والتعمق في فهم كلام الله عز وجل، والوقوف على أسراره ونكاته البلاغية ولطائفه البيانية، فإن مثل هذه الدراسة لا يكفي من أجلها تعلم النحو فقط وحفظ قواعده، بل لابد من ذلك من إبحار في معاني الكلام وفهم عميق لدلالات الحروف وأسرارها البلاغية في النظم القرآني

– وأن يسعوا إلى خدمة كتاب الله تعالى ضمن سلسلة بيان إعجاز القرآن من حيث لغته وبلاغته،وكلماته بل وحروفه ، فهو أفصح الكلام وأبلغه، لأنه كلام رب العالمين القائل فيه تنزيل من حكيم حميد) .

– استخراج طلبة العلم والمتخصصين بالدراسات القرآنية، لمكنونات المعاني، من خلال دراسة تشبيهات القرآن. باعتبارها وسيلة مهمة لإبراز المعاني القرآنية، وكشف أسرارها.

هذا والله تعالى أعلم،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم – جل من أنزله.
-الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٤ م.
-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)- الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.
-إعراب القرآن وبيانه – المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ٤٠٣هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.
-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
- البحر المحيط المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للمؤلف: عبد المتعال الصعيدي –الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع- المؤلف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى: ١٤٢٩ هـ)- الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر ٢٠٠٦ م.

-البلاغة العربية في ثوبها الجديد – الجزء الثاني : علم البيان، تأليف: د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العلا المرة، ٢٠٠٦م.
-البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، تأليف: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، تمان، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
-تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين -الناشر: دار الهداية.
-التحرير والتنوير المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر.
- التشبيهات فى القرآن الكريم تأليف أحمد سليمان أبكر – الناشر دار الخليج للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ٢٠٢٣
- التعريفات تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥، تحقيق : إبراهيم الأبياري.
-تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
-تفسير الشيخ الشعراوي الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)الناشر: مطابع أخبار اليوم .

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت: (٧٧٤هـ): المحقق: سامي بن محمد سلامة –الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
-تفسير الكرماني المسمى غرائب التنزيل وعجائب التأويل، أبي القاسم الكرماني، تحقيق عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
-تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)- تحقيق: يوسف علي بديوي ، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
-تفسير المراغي- المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-المؤلف : الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي –الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.
-جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد،أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس

الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
-الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د/ فخر الدين قباوة، الأستاذ/ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
-حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي- المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر – بيروت.
-خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، تأليف: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
-سر صناعة الإعراب، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك المؤلف : عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ)- المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد- الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
-شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د/ حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني – د/ يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

-الصحاح المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)تحقيق: أحمد عبدالغفورعطار-دارالعلم للملايين- بيروت ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

-الصناعتين -المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)-المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم -الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت ١٤١٩ هـ.

-طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

-علم أدوات القرآن تأليف وتحقيق الدكتور قاسم فائز، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ٢٠١١ بيروت - لبنان.

-علم البيان للدكتور: عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)-الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م.

-العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)المحقق: د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- فتح القدير للإمام: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمربن الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي- المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
-اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل لمحمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور(المتوفى: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر– بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزالمؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

-المخصص لابن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن"تفسير البغوي" المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
-معجم الإعراب والإملاء ،للمؤلف إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، بيروت، لبنان.
-المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أحمد الزيات ، محمد النجار)وغيرهما ،الناشر: دار الدعوة .
-مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي –الناشر: نهضه مصر – القاهرة ٢٠٠٥
-الموجز في قواعد اللغة العربية ، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، الناشر : دار الفكر – بيروت – لبنان، الطبعة : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع
ملخص البحث
المقدمة
التمهيد
تعريف الحرف ، وسبب تسميته.
أقسام حروف المعاني، وعملها، وأهميتها ، والفرق بينها وبين حروف المباني.
المبحث الأول: بين يدى كاف التشبيه
المطلب الأول: تعريف التشبيه، وأركانه، وخصائص تشبيهات القرآن وأثرها في التفسير.
المطلب الثانى: كاف التشبيه،وعملها. والفرق بينها وبين كاف الخطاب.
المبحث الثانى :أنماط كاف التشبيه فى النص القرآنى
النمط الأول: الكاف الداخلة على (اسم الإشارة)
النمط الثانى: الكاف الداخلة على (ما المصدرية)
النمط الثالث: الكاف الداخلة على (المصدر الصريح)
النمط الرابع: الكاف الداخلة على (الِاسْم الْمَوْصُول)
النمط الخامس: الكاف الداخلة على (اسم الفاعل)
النمط السادس: الكاف الداخلة على (أن)
الخاتمة
المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات